السنة العاشرة العدد ١٢ ١٥ حزيران سنة ١٩٠٧

المشرق

كتبة العرب وجغرافية سورية

نظر للاب هنري لامنس مدرّس الجغرافية الشرقيَّة في المكتب الشرقي

ذكرنا في مقالتنا السابقة بطيّب الثناء احد جغرافيي الاسلام شمس الدين المقدسي. وليس هو الكاتب الوحيد من العرب الذي ضمَّن تآليفهُ الفوائد المتعددة في وصف سوريَّة. وفي نيَّتنا ان نعود مراراً الى ذكر هؤلاء الكتبة في اثناء مقالاتنا الآتية عن هذه البلاد. وعليهِ أردنا أن نفرد لهم فصلاً كاملاً ليكون القرَّاء على بصيرة من شهاداتهم ويقدّروا كتاباتهم قدرها

١

الجغرافيُّون العرب الاقدمون

كان اوَّل فتح سوريَّة على يد القائد الكبير خالد بن الوليد الذي دخل دمشق بعد اواسط السنة ٦٣٦ للميلاد ثمَّ أتمَّ فتح بقيَّة بلاد الشام في السنين التالية. فلمَّا انتشرت العلوم بين العرب في القرن التاسع اخذ كتبتهم في ذكر الشام ووصف محاسنها وواصلوا هذه المصنَّفات الى اواخر القرن الخامس عشر فمنهم من اتَّسع في وصفهِ ومنهم من اقتصر على بعض الفوائد فلو جُمعت كلّ هذه المآثر المدوَّنة في زمن لا يقلّ عن ستة قرون لاندهل الأدباء من وفرتها. والحقّ يُقال ان كتبة العرب في الابحاث الجغرافيَّة كما في غيرها من الفنون قد خلَّفوا لنا من الآثار ما لا يجاريهم في كثرتهِ غيرهم من الشعوب. فيتحتم علينا ان نبيّن شأن هذه التآليف ونعرف قدرها وما يُمكن العلماء ان يستخلصوا من فوائدها

لو تتبَّعنا تاريخ العرب في الازمنة العريقة في القدم لوجدناهم مزدانين بخلال فريدة للضرب في البوادي وللسياحة في البلدان. تصفَّحْ سفر التكوين لموسى كليم الله فانهُ قد ذكر غير مرَّة عرب البادية في ايام الآباء بعد الطوفان منذ ابرهيم الخليل الى يوسف الحسن وغاية ما يُستنتج من اوصافهِ انَّ العرب كانوا في ذلك الوقت ما عهدهم التاريخ في الاجيال التابعة. فانَّهم يظهرون لنا كقوم رُحَّل يقودون القوافل ويتجشَّمون الاسفار للمتاجرة وقد جعل الله في يدهم زمام حيوان صبور يزيد نفعهُ على منافع الخيل المطهَّمة نريد الابل المعروفة بسُفُن البرّ. وهذا الوصف لا يختلف ذرَّةً عن احوال العرب في كرور الدهور حتى القرن السابع بعد الميلاد حيث ترى قريش تتولَّى قيادة الاقفال وتمتار الميرة وتنقل السلع الى اسواق العراق والشام واليمن والحبشة ومصر

وليس بين التاجر الرحَّالة والجغرافيّ المخطِّط للبلدان مدًى واسع فانَّ السفّار يحتاج كالجغرافيّ الى التنقيب عن أحوال الأمم والامكنة التي يتردَّد اليها فيتبصر في مرافقها ويدرس طباعها ويبحث عن ثروة تربتها وغلَّاتها وطُرُقها وطوارئ هوائها من حرّ وقرّ وكلّ ذلك يباشرهُ الرحَّالة لمنفعتهِ الخاصَّة كما يتولَّاهُ الجغرافيّ لنفع العموم. ومن هنا تعرف ان درس الجغرافية من انجع الوسائل واكفلها بالربح في التجارة الواسعة

وممَّا زاد العرب نشاطاً في درس البلدان واعانهم على الرصود الجغرافيَّة التي خُصَّت بمراقبتها طباعهم ما اتاحهم الله من الفتوحات العظيمة في القرنين السابع والثامن. فانَّ سلطتهم بلغت ما وراء البلاد التي اتصلت اليها يد الاسكندر ذي القرنين. فلا غروَ انهم حاولوا معرفة الاقطار التي جعلها الله في حوزتهم فاسرعوا الى تقويمها وتحديد ثغورها واستطلاع خواصها. وقد ساعدهم على ذلك ما وقفوا عليهِ من المصنَّفات الجغرافيَّة السابقة لعهدهم من اوضاع الهنود والفُرس واليونان والرومان ممَّا نُقل الكثير منهُ الى العربيَّة. وكان العرب من أجدر الناس بان يبنوا لعلم الجغرافية صرحاً شاهقاً منيفاً بما توفَّر لديهم من الوسائل الضامنة لبلوغ هذه الغاية الشريفة وذلك بان يضيفوا معلوماتهم الى معلومات اسلافهم. وسوف نذكر سبب قصورهم عن هذه البغية الجلَّى وان نال البعض منهم من ذوي المدارك العالية اسهماً رابحة من المجد فكادوا يفوزون بقصبة السبق في هذا الميدان الجليل

وممَّا يجب الاقرار بهِ فضل كتبة العرب في وصف البلدان وتعريف خواصها. وذلك

مدخل العلوم الجغرافيَّة ومقدَّمتها يكفي للقيام بهِ ان يكون الكاتب باصرًا متروّيًا يُحسن مراقبة المرئيَّات دون ان يحتاج الى شيء من الآلات الرصديَّة او من العلوم الاعداديَّة. فمن ذلك انَّهم احكموا معرفة اواسط آسية فاصلحوا أُمورًا عديدة مما رواهُ قبلهم اليونان والرومان رامين كلامهم على عواهنهِ. مثال ذلك ما افادنا الرومان عن الصين حدسًا وسمعًا أمَّا العرب فانَّهم تفقَّدوا مملكة ابن السماء بل بلغوا بلاد كورية ولعلَّهم ادركوا حدود اليابان. وقس على ذلك قارة افريقية فان الرومان جهلوا الصحراء حدودها فلم يعرفوا ما وراء تلك المفاوز المجهولة. اما العرب فانَّهم تجاوزوا تلك الحدود وطافوا في مجاهل افريقية الى قلب تلك البلاد. وهم اوَّل من ابحر الى جزيرة مدغسكار فعرَّفوا موقعها

اما الجغرافيَّة العلميَّة فانَّ معلومات العرب فيها محصورة ضيّقة النطاق. فانَّ معرفتهم مثلًا لأعراض البلاد قد تعقَّبوا فيها آثار القدماء فاصابوا أو اخطأُوا كلَّما اصاب أو اخطأ اسلافهم. امَّا خوارطهم ورسومهم لهيئة البلدان فانَّها غريبة الاشكال بعيدة عن مظانّ الحقّ (١ وقد اثبت منها المشرق مثالًا ملوَّنًا فراجعهُ (المشرق ٣ : ١١٢٨) وها نحن ندوّن هنا مثالًا آخر ننقلهُ بعض الوانهِ عن كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الادريسي كما يُرى في احد مخطوطات مكتبة باريس العموميَّة. ولعلَّهُ احكمُ وأتقنُ ما وضعهُ العرب من الخرائط فانَّ البحر فيها مرسوم باللون الازرق ومجاري الانهار بالاخضر (٢. واغرب ما في هذا الأثر انَّ صاحبهُ سعى بتصوير سلسلة الجبال بتخطيطات مقطَّعة كما يشير اليها الجغرافيُّون المحدثون بعد أن حسَّنوا هذه الطريقة وزادوها دقَّةً

هذا وان في رواياتهم واوصافهم نفسها مبالغات هي من الغرابة بمكان ينبغي على العاقل أن لا يقبلها الَّا بعد الرويَّة والانتقاد وهذه النقيصة تعمُّ زمانهم حيث كانت العلوم الطبيعيَّة في مهدها

وممَّا يؤخذ على كثيرين منهم آفة النقل والسرقة فانَّهم يروون ما سبق اليهِ غيرهم

---

١) اطلب تاريخ الجغرافية لسان مرتين وڤول (Vivien de S[t] Martin: *Histoire de la Géographie*, 265; K. Weule: *Geschichte der Erdkenntnis und der geogr. Forschung*, 129-152)

٢) راجع Bulletin de l'Académie d'Hippone, 1896-1898, p. 12-13

بحرفهِ دون الاشارة الى التآليف التي نقلوا عنها . وربَّما خُدع القارئ بكثرة الشواهد في بعض الامور ولو تروَّى لوجد أنها كلها راجعة الى مصدر واحد وانَّ الخلَف نسخوا عن السَّلَف دون فرقٍ يُذكر في اللفظ والمعنى . ودونك ما كتبهُ في هذا الصدد شمس الدين المقدسي وغايتهُ ان يبيّن بقولهِ فضل تأليفهِ على تآليف من تقدَّمهُ . وكلامهُ مع طولهِ جديرٌ بالاعتبار يوقفنا على طريقة بعض كتبة العرب في مصنَّفاتهم الى زمن المؤلف في القرن العاشر قال :

اعلم اني اسَّستُ هذا الكتاب على قواعد محكمة واسندتهُ بدعائم قوية وتحرَّيت جهدي الصواب . واستعنت بفهم اولي الالباب . . . فما وقع عليهِ اتفاقهم اثبتهُ . وما اختلفوا فيهِ نبذتهُ . وما لم يكن لي بدٌّ من الوصول اليهِ والوقوف عليهِ قصدتهُ وما لم يقرّ في قلبي ولم يقبلهُ عقلي اسندتهُ الى الذي ذكرهُ او قلتُ زعموا . ووشَّحتهُ بفصول وجدتها في خزائن الملوك

وكل من سبقنا الى هذا العلم لم يسلك الطريق التي قصدتها ولا طلب الفوائد التي اردتها . امَّا ابو عبدالله الجَيْهاني فانهُ كان وزير امير خراسان وكان صاحب فلسفة ونجوم وهيئة فجمع الغرباء وسألهم عن الممالك ودخلها وكيف المسالك اليها وارتفاع الخُنَّس منها وقيام الظل فيها ليتوصل بذلك الى فتوح البلدان ويعرف دخلها ويستقيم لهُ علم النجوم ودوران الفلك ألا ترى كيف جعل العالم سبعة اقاليم وجعل لكل اقليم كوكباً مرَّةً يذكر النجوم والهندسة وكرَّةً يورد ما ليس للعوام فيهِ فائدة وتارةً ينعت اصنام الهند وطوراً يصف عجائب الهند وحيناً يفصل الخراج والردّ ورأيتهُ ذكر منازل مجهولة ومراحل مهجورة ولم يفصّل الكُوَر ولا رتَّب الاجناد ولا وصف المدن ولا استوعب ذكرها بل ذكر الطرق شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً مع شرح ما فيها من السهول والجبال والاودية والتلال والمشاجر والانهار وبذلك طال كتابهُ وغفل عن اكثر طرق الاجناد ووصف المدائن الجياد . واما ابو زيد البلخي فانهُ قصد بكتابهِ الامثلة وصورة الارض بعد ما قسمها على عشرين جزءًا ثم شرح كل مثال واختصر ولم يذكر الاسباب المفيدة ولا اوضح الامور النافعة في التفصيل والترتيب وترك كثيراً من امهات المدن فلم يذكرها وما دوَّخ البلدان ولا وطئ الاعمال . ألا ترى ان صاحب خراسان استدعاه الى حضرتهِ ليستعين بهِ فلمَّا بلغ جيحون كتب اليهِ « ان كنت استدعيتني لما بلغك من صائب رأيي فان رأيي يمنعني من عبور هذا النهر » فلمَّا قرأ كتابهُ امرهُ بالخروج الى بلخ . وامَّا ابن الفقيه الهمذاني فانهُ سلك طريقة أُخرى ولم يذكر الَّا المدائن العظمى ولم يرتب الكُوَر والاجناد وادخل في كتابه ما لا يليق بهِ من العلوم مرة يزهد في الدنيا وتارةً يرغب فيها ودفعةً يُبكي وحيناً يُضحك ويلهي . وامَّا الجاحظ وابن خرداذبه فان كتابيهما مختصران جدًّا لا يحصل منهما كثير فائدة

ثمَّ عاد المؤلف بعد هذا باسطر الى تبرئة نفسهِ من جناية السرقة فقال (ص ٦) :

لا نذكر شيئاً قد سطَّروه ولا نشرح امراً قد أوردوهُ الَّا عند الضرورة لئلا نبخس حقوقهم ولا نسرق من تصانيفهم

ومع هذا ترى المقدسي نفسهُ بعد قولهِ عن ابن خرداذبه انهُ « مختصر جداً لا يُحصل منهُ كثير فائدة » ينقل عنهُ كل أقيسة مراحلهِ وتفاصيل أُخرى عديدة دون ان يذكر اسمهُ وهو يفعل بابن الفقيه فعلهُ بابن خرداذبه فيأخذ عنهُ نصوصاً كثيرة ولا يذكر اسمهُ اكثر من ثلاث مرَّات مع انهُ يلومهُ لادراجهِ اشياء عديدة في كتابهِ لا طائل تحتها

ومما نأخذهُ على جغرافيي العرب أنهم لم يكتفوا بوصف بلاد مخصوصة بل وسَّعوا نطاق عملهم الى جغرافيَّة الارض كلها باقاليمها وقد جروا في ذلك مجرى المؤرخين الذين ارادوا تدوين اخبار العالم كلهِ والممالك جمعاء فكانت نتيجة هذا العمل أنهم لم يُعطوا البلاد حقَّها من الوصف. وكذا يُقال عن بلاد الشام التي لا تشغل في تآليفهم الَّا مكاناً ضيّقاً ولو قصروا النظر اليها وحدها لأدَّوا حقوقها واستوفوا معانيها ولعلَّهم فعلوا ذلك لعلمهم بندرة الكتب لتكون تآليفهم جامعة لشتات التاريخ ولوصف البلدان ونحن مع إقرارنا بهذه المنفعة نتأسف على قلَّة من تعمَّقوا في تعريف بلادنا. ألا ترى مثلاً ابا الفداء وموطنهُ بلاد الشام لو اجتزأ بوصف بلاده بدلاً من وصف كلّ البلاد لكان كتابهُ تقويم البلدان اجزل نفعاً واكمل وصفاً يحتوي من التفاصيل ما لا يُرى في غيره كما فعل الهمدانيّ في « صفة جزيرة العرب »

وقد بقي علينا ان نورد هنا اخصَّ المطبوعات الجغرافيَّة لأنّا في المقالات التالية سوف نشير اليها مرَّات عديدة. فها نحن نذكرها مع بيان خواصها وفضل اصحابها. وقد اكتسب المستشرقون شكر العلماء اذ وجَّهوا الانظار الى اخصّ النصوص التاريخيَّة والجغرافيَّة فنشروها وقرَّبوا بنشرها منافعها وأدنوا مواردها بحيث امكن المنتقد ان يتبيَّن ما تتضمَّنهُ من الفوائد والفرائد

وكان الشرق حقيقاً بان يؤازر المستشرقين بالعمل لكنَّ اهل الشرق قد شُغلوا عن ذلك بما صرفهم في نشر التآليف الجغرافيَّة القديمة اللهمَّ الَّا القليل منها. وهذه المطبوعات نفسها خالية من النظر الانتقادي لا ترى فيها شيئاً مما يدلّ على البحث والتنقير كالروايات المختلفة والمقابلة مع النصوص المتشابهة والفهارس الواسعة. ولا نستثني من هذا النقد طبعة صبح الاعشى للقلقشندي التي ابرزتها آخرًا المطبعة الخديويَّة وان كانت تفضل غيرها من الطبعات الشرقيَّة في هذا الباب. لكنَّ همَّة المستشرقين قد سدَّت هذا الخلل في ما نشروهُ في المانية وفرنسة من النصوص الجغرافيَّة

وبين البلاد التي اصابت السهم الافوز في نشر التآليف الجغرافيَّة بلاد هولندة. فانَّ هناك طبع ذلك المجموع الفريد في ثمانية مجلَّدات المعروف بمجموع جغرافيي العرب (Bibliotheca geographorum arabicorum) وقد قام بهذا العمل رجلٌ همام من كبار المستشرقين احرز لهُ بذلك مجدًا اثيلًا ألا وهو العلّامة دي غوي (de Goeje) احد اساتذة كليَّة ليدن. وقد اودع هذا المجموع اجلَّ المصنَّفات كالمسالك والممالك للاصطخري ولابن حوقل والمسالك والممالك لابن خرداذبه ومختصر كتاب البلدان لابن الفقيه الهمذاني وكتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته والتنبيه والاشراف للمسعودي وكتاب البلدان لابن الواضح اليعقوبيّ. ومما سعى بطبعهِ داود مولّر من اساتذة ڤينّة كتاب صفة جزيرة العرب. ولكلّ هذه التآليف حواشٍ وتذييلات معتبرة وفهارس واسعة فضلًا عن جداول لغويّة للالفاظ الغريبة والمفردات العويصة التي تفرَّد بها بعض الكتبة دون البعض. وفي هذه الجداول من الفوائد ما لا يُنكَر ومن شأنها ان تساعد على تأليف معجم مطوَّل للغة العربيَّة يكون مبنيًّا على النصوص القديمة لا يكتفي فيهِ صاحبهُ بنقل القواميس السابقة

ومن افضل ما عُني المسيو دي غوي بنشرهِ كتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للامام شمس الدين المقدسي فانَّ في هذا الكتاب من المحاسن ما لا تراهُ في غيره لاسيما في احوال الشام على عهدهِ اي في القرن العاشر ولذلك قد احببنا ان نكتب فيهِ فصلًا منفردًا في مقالة آتية (لهُ بقيَّة)

أثر جديد

لغبريال الثامن بطريرك الاقباط

نشره بالطبع لاوَّل مرَّة وعلَّق حواشيه الاب انطون رباط اليسوعي

توطئة

نشرنا على صفحات المشرق (٧ : ٨٥٢ و٨٨١ و٩٥٥) سبعة نصوص عربيَّة لم تعرف حتى الان ولم يسبق طبعها. كنَّا نقلناها بالتصوير عن اصلها المحفوظ في المكتبة الفاتيكانيَّة برومية العظمى. موضوعها رجوع الطائفة القبطية الى حجر الكنيسة الكاثوليكيَّة في السنوات الاخيرة من القرن

السادس عشر . منها صورة ايمان البطريرك غبريال او جبرائيل قدَّمها للحبر الروماني اقليمنتوس الثامن مع رسلهِ القمص غبريال رئيس دير المحرق والقس غبريال راهب دير الطير وبرسوم ارشيدياقون كنيسة الاسكندرية المرقسية . وقد عثرنا في هذه المدة الاخيرة على المذكرة التي اعطاها البطريرك الى مرسليه وهي محفوظة في رومية فآثرنا نشرها تتمة لما سبق ملقين عليها بعض الحواشي . اما المذكرة فهي هذه بحروفها

بسم الله الرؤوف الرحيم

المجد لله دائمًا ابدًا

الخلاص للرب يا الله الخلاص (١

ϦⲈⲚ ⲪⲢⲀⲚ ⲘⲪⲒⲰⲦ ⲚⲈⲘ ⲠϢⲎⲢⲒ
ⲚⲈⲘ ⲠⲒⲠⲚⲀ ⲈⲐⲨ ⲞⲨⲚⲞⲨϮ ⲚⲞⲨⲰⲦ

انا غبريال (٢ بطريرك مدينة الاسكندرية وما معها أُعطي البركة للقمص غبريال

١) قد صدَّر البطريرك غبريال رسالتهُ بهذا العنوان على صورة مشتبكة اراد بها الكاتب التمثيل بالخط الكوفي او بالطغريات (المشرق ٦ : ٥٠٤ و ٧ : ٨٥٥ و٨٥٧) اطلب ايضاً رسالته للبابا اقليمنتوس المؤرخة في ٣٠ برموده ١٣١٧ قبطية الموافقة لسنة ١٦٠١ ميلادية اي لاربع سنوات بعد تاريخ رسالتنا هذه نشرها بالطبع صاحب السعادة يعقوب ارتين باشا في (Bulletin de l'Institut Egyptien, 26 Décembre 1904, 6ᵉ fasc. p. 205) وقد قرأ سعادته : « الحمد لله كلا ابدًا الخلاص من الرب » ونظن انَّ قراءتنا هي الصواب

٢) هو البطريرك غبريال الثامن خلف في حزيران سنة ١٥٨٥ البطريرك يوحنا المتوفى في ٥ ايلول ١٥٨٦ وكان قد سمع من الاب يوحنا باطيشتا اليانو اليسوعي حجج الدين الكاثوليكي فمال اليهِ . ولمَّا استتب اليهِ الامر اصلح كثيرًا من العوائد والاضاليل المنتشرة بين ذويه وسعى بارجاعهم الى الكنيسة الجامعة كما تشهد على ذلك رسائله التي نحن بصددها . وقد ذكرنا في كتابنا (Documents inédits pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient, T. I, p. 207) انهُ هو ذات غبريال النائب البطريركي الساعي في اخفاق مساعي المرسلين سنة ١٥٦٢ و١٥٨٣ والراغب في التملك على الكرسي البطريركي . لكنا عثرنا اخيرًا على رسائل تثبت ان الكاهن غبريال لم ينل مبتغاه فتوفي بالقمص شنوده بطريركًا

قال الاب ساكسو (Saxo) رفيق الاب اليانو في مقالة خطية ذكر فيها احوال الاقباط سنة ١٥٨٦ وموت البطريرك : Verum quoniam vita et mors in Dei unius potestate sita sunt, contigit ut, revertente illo [Patriarcha] diem suum obiret, Nonis Septembris, idque in quodam oppidulo unius vel alterius diei itinere a Cairi civitate. الذي تعريبهُ : « ولمَّا كانت الحياة والموت في يد الله عزَّ وجلَّ وحده حدث ان البطريرك لقي

راهب دير المحرق (وكذلك القس غبريال راهب جبل الطير) (١ وكذلك للارشيدياقن برسوم كنيسة مار مرقس الانجيلي بارك الله عليهم. نعلمهم ان تكون هذه الورقة تفكرة.

يومهُ الاخير في الخامس من ايلول (١٥٨٤) وهو عائد. وكان ذلك في قرية تبعد يوماً او يومين عن مدينة القاهرة»

وقال ماريانو مارياني التاجر في رسالة بعث بها من القاهرة في ٢٩ حزيران ١٥٨٥ الى الاب اليانو: Già tre giorni è stato nominato, per quanto si dice, nuovo Patriarca il *Comos Sunude*, ermita, ma per ancora non eletto . . .

الذي تعريبهُ: «منذ ثلاثة ايام قد سمي - على ما قيل - القمص شنوده الراهب بطريركاً جديدًا لكنهُ لم يُنتخب بعد. . .»

وقال باولو مارياني قنصل دولة فرنسة سابقًا ثم قنصل انكلترة وصقلية وفلورنسة وجينوا في رسالة من الاسكندرية (٦ كانون الثاني ١٥٨٦) بعث بها الى الاب اليانو: Il Patriarca nuovo dovrà venire qui nella quaresima per fare le ceremonie loro e pigliar possesso del Patriarcato, il che non si puo fare senon qui, in Alexandria ... e volendo haver informazione di questo nuovo Patriarca Gabriel, aliàs *abuna Sonude*, di V. R. benissime conosciuto e praticato nel deserto di S. Macario, *Gomos Iuanna*, (arciprete della chiese di S. Marco, e vicario qui del Rmo Patriarca), mi dice esser persona idiota, ma di buona mente, e che ha levato molti abusi che già eran tanto in uso fra loro che non facevan secondo il rito christiano, ma alla moresca, il che dice esser causato per mezzo di V. R. mentre che era nel deserto patricolarmente trattendone con questo eletto Patriarca et molti alii . . .

الذي تعريبهُ: ان البطريرك الجديد سيأتي الى هنا في زمن الصوم الاربعيني ليقيم الحفلات ويتبوأ الكرسي البطريركي وهذا الامر لا يمكن ان يتمّ الّا في الاسكندرية. ولمّا كنت اريد ان استطلع طلع اخبار البطريرك الجديد غبريال - الذي كان اسمهُ ابونا شنوده - المعروف حق المعرفة من ابوتكم لمعاشرتكم لهُ في برية مار مكاريوس آخبرني القمص يوحنّا (خوري كنيسة مار مرقس ونائب البطريرك في الاسكندرية) انهُ رجل بسيط لكنهُ ذو نيّة سليمة وانهُ قد ابطل كثيرًا من العوائد السيئة التي تعلق بها الاقباط حتى انهم لم يكونوا يعيشون حسب الطقوس المسيحية. . . ويقول القمص ان هذا الاصلاح مرجعه لابوتكم عندما كان في البرية لانكم اكتسبتم هذا البطريرك المنتخب وغيره كثيرين. . .» وذكر الكاتب بُعيد ذلك عددًا من العوائد المتعلقة بعقد الزواج والطلاق الخ. وسننشر هذه التفاصيل في الاجزاء اللاحقة من مجموعنا ان شاء الله

١) قد زيد هذا الاسم على الهامش كما في الرسائل التي سبق نشرها (المشرق ٧:٨٥٦) لكن النص لم يبدل فيهِ شيء. فبقي في بعض الفِقَر على صيغة المثنى كما سترى

يديهما لاجل ما نحتاجهُ من المصالح في مدينة رومية والوصية لهم بما يعملوه . اول كلّ شي. بان يكونوا ادباء حكماء عفوفين ماشين بخوف الله حافظين وصاياه طاهرين النفس والجسد ويكونوا كلمة واحدة ومحبّة واحدة ورأي واحد بالصلح والسلامة حتى ان جميع من يراكم على هذه الصفة يشكر الله اولًا ويمدحكم على حسن صنيعكم . ولا تدعوا احدًا يشك من قبلكم . واذا اكملتم هذه الوصايا صار لنا بياض الوجه من قبلكم . وتكونوا وكلاء عني في تقبيل اجساد ماري بطرس وبولس وجميع القديسين الذين بمدينة رومية المقدسة وتدوروا على جميع اخوتي الكردنالات وتقبلوا لنا اياديهم . وقد نوصيكم الوصيّة التامّة بأن لا تخرجوا عن طاعة وكلاني ووكلاء شعبي وهما كردينال دكوموا وكردينال سان جرجس (١ وما تفعلوهُ يكون بدستورهم وارادتهم . ولا تدعوا احدًا يخدمكم من التراجمين الّا من تراجمين كتّاب (٢ جبل ليبَنوا (٣ الذين هم المارونيين فانهم من اقاربنا وعارفين بلساننا واصحابنا (٤ ولا يكون لكم عشرة باحد من ما يصلح . وتكونوا حافظين ناموسكم وحرمتكم فان مقامكم من مقامي . وانكم تقبلوا لنا ايادي السيد البابا وتسألوا من تفضلاته واحسانه بان ينعم علينا ويتصدق في كلّ سنة بترتيب جامكية (٥ فاننا في غاية الضيق والشدّة وما تحتاجه كنائسنا واديرتنا والفقراء والمساكين والارامل والايتام والذين بالسجون والحديد بسبب الجوالي (٦ وغيرهم . واذا فعل ذلك يكون وسيطًا وسببًا في فكهم من اليسر [الإسر] وخلاصهم بدين المسيح . وبالاكثر ما يحصل على الكنائس والديورة من

١) هما الكردينالان de Saint - Georges و de Côme

٢) كتّاب ج كتاتيب وهو موضع التعليم او المدرسة

٣) يريد المدرسة المارونية الرومانية التي انشئت قبل تاريخ هذه الرسالة بسنين قليلة وقد عينا لكتابته « جبل ليبَنوا » بدلًا من لبنان مع ما يظهر الكاتب من المعرفة في اللغة العربية على خلاف عادة الكتّاب النصارى في تلك الازمنة فكأننا به قد سمع ناكياني وغيره ينطقون بالكلمة نطقًا افرنجيًا فنقلها كما سمعها

٤) لا ندري ما يكون وجه القرابة والصداقة بين الاقباط والموارنة في تلك العصور ولم نعرف حتّى الان علاقة بين الاثنين خلا الاصل الشرقي والتكلم باللغة العربية ولعلّهُ يريد فقط قرب مصر من جبل لبنان ٥) كلمة فارسية ج جوامك معناها عطية وجعالة ومعاش ترادفها لفظة علائف في كتب القرون المتوسطة

٦) مفردها جالية يراد بها الجزية والضرائب والترامات

المغارم في كلّ حين . وانتم يا اولادي تعرفوا ذلك اكثر مني ومن فمكم تعرّفوا السيد البابا عن ذلك . فان السيد المسيح اعطاهُ السلطة على سائر المسيحيين وابوهم وابونا نحن ايضاً وحيث ما هو ابونا فيساعدنا في ضيقنا الذي نحن فيهِ لأنّا نحن عتقنا بدم المسيح مثل اخوتنا المسيحيين الذين برومية وغيرها . وقدس الأب يعدّنا واحد من جملة الذين عندهُ لكون ان صدقاتهِ كثيرً (كذا) . واذا كان عنده الف او اكثر نصير واحد من جماتهم . وتعرفوا السيّد البابا بان يعمل معنا هذه الرحمة اكراماً للاتحاد المقدّس الذي صار بيننا . ونحن بقوّة الله تعالى اذا صار انعامه علينا وتفضلاته واصلة الينا في كلّ سنة نفتح كتّاب وندع (كذا : نضع) فيهِ معلمين يعلّموا الشعب ويعظوهم بالتعاليم المسيحيّة ليزداد الايمان الكاثوليكي وينتشر في سائر ارضنا وبلادنا (١ ثمّ تسألوا لنا من قدس الاب ان قد بلغنا ان سائر الطوائف المسيحيّة لهم كتّاب وكنائس بمدينة رومية (٢ فيفتح لنا كنيسة لطائفة الاسكندرانيين والمصريين ليصير لنا تذكار في زمانهِ المبارك (٣ وبعد ذلك يقدّرنا الله سبحانه وتعالى على تجهيز بعض قسوس وشمامسة وخدّام يخدموا تلك الكنيسة ويصلُّوا فيها ويطلبوا من الله لنا ولشعبنا لكون حتى لا نصير ناقصين عن الطوائف الذي هناك . وتطلبوا لنا منهُ كتب اناجيل وكتب القديسين وكتاب اصل المجامع المقدّسة

---

١) يريد مدرسة . وقد وعد البطريرك هذا الوعد لمعرفته عظيم رغبة الكرسي الرسولي في تعليم الاحداث الشرقيين على مبادئ الدين المسيحي . وقد الحّ الاحبار اشدّ الالحاح على سلفاء غبريال الثامن يرغبونهم في تهذيب الناشئة ويسهلون عليهم السبل لذلك (اطلب ما نقلناه في كتابنا Documents inéditsT. I,) صفحة ٢١٥ و٢٥٤ و٢٥٨ و٢٦١ و٢٦٤ و٣١٤ و٣٢١ و٣٢٥ وقد ذكرنا في مواضع اخر نصوصاً كثيرة تتعلق بتهذيب الاولاد من سائر الطوائف المسيحية

٢) من اعمال البابا غريغوريوس الثالث عشر الجليلة انشاؤه مدارس لكثير من الامم والطوائف وسعيه في نشر العلوم الدينية بين الشرقيين والغربيين . وقد حذا حذوه البابا لاون الثالث عشر فجدد ما اندثر من آثار هذه المرابع العلمية وزاد عديدها فاصبحت رومية العظمى واسطة عقد العلم كما هي قاعدة الدين

٣) جاء في رسالة للاب خريستوفور رودريكس كتبها من القاهرة بتاريخ ٧ نيسان ١٥٦٢ ان البطريرك غبريال السابع عازم على ارسال اثنين من رهبانهِ ليقيما في الكنيسة التي انعم بها عليهم قداسة الحبر الاعظم (اطلب مجموعنا Documents inédits, T. I, صفحة ٢٨٤) ولم نجد تفاصيل عن هذا الشأن . ونرتأي ان الامر لم يخرج الى حيز العمل لان الاقباط رفضوا الايمان الكاثوليكي . وقد حظي الاقباط برغوبهم في الربع الأوّل من القرن الثامن عشر

وبالاكثر المجمع الخلقيدوني يكون ذلك بالعربي (١ ويختم لنا كتب العتيقة والحديثة بلسان المصريين لاجل ما نفعل بهم القدّاس (٢ واذا كتب لنا مكاتبات فيقول فيها بطريرك مدينة الاسكندريّة لا غير لانّ الرسول بولس كتب للقرنتانيين يقول من هو كافا ومن هو افلو بل نحن للمسيح ويكفانا ان نعرف بالمسيحيين المصريين (٣ وقد اعلمكم يا اولادي لان تكونوا محبين طائعين الولد المبارك جرينموا وتكونوا معهُ كالاخوان فانهُ تعب معنا في هذه المصلحة التعب الزائد (٤ السيد المسيح يعوضهُ في الملكوت عوض ذلك. ونعلمكم ايضاً يا اولادي المباركين ان تكونوا عوضنا وعوض شعبنا تتكلّموا من فمكم كأنهُ من فمنا بان تسألوا قدس البابا بان ينعم ويتفضل بكتابة مكتوب لسلطان الفرانسة وكراندوكا دي فرنسا (٥ وجميع البلاد الذين يجي منها التجار لارض مصر (٦ بان يخلو سيمون (٧ قنصل في ارض مصر كون فيه الرحمة والصدقة على طائفتنا وقاضي مصالحنا وبالاكثر انهُ في خدمة البابا ومصالحه بما يجب وليس عنده

١) لا نعرف من هذه الكتب العربية مطبوعاً في ذلك العهد سوى كتاب الاناجيل المقدسة (المشرق ٣ : ٨١) اما المجمع الخلقيدوني فقد طبع باللغة العربية برومية سنة ١٦٩٤ لفائدة « طائفة القبط المكرَّمين وطوائف للحبش الموقرين وغيرهم من الطوائف الشرقيين المنرورين » . نقلهُ الى العربية عن نسخة المجمع الاصلية المحفوظة في خزائن كتب مار بطرس الأب فرنسيس ماريّا الفرنسيسي من مدينة سالم وقدمه الى انبا يوحنا بطريرك الاسكندرية والى الاكليروس والشعب القبطي والحبشي . وقد فحصهُ القس داود دي سان شارل الكرمليتاني (اطلب Documents inédits, T. I, ١١٩ و١٢٠ و٤٥٨) والقس بطرس مبارك الراهب الماروني وكيل بطريرك الموارنة وذلك سنة ١٦٩٢

٢) على مثال كتاب القدّاس الذي طبع برومية لفائدة الموارنة واحضر الاب دنديني اربعة صناديق مملوءة منهُ وذلك في السنة السابقة لتاريخ هذه الرسالة

٣) لعلهُ يريد ان يختص به اسم بطريرك الاسكندرية بمعزل عن الملكيين فلا يزاد « من طائفة الاقباط » كما جاء في رسائل الاحبار الرومانيين Patriarchæ Alexandrino, nationis Cophtorum (اطلب مجموعنا Documents inédits, T. I صفحة ٢٢٤)

٤) جيرونيمو او جيرولامو فاكياتي Girolamo Vecchietti (اطلب المشرق ٧ : ٨٥٧ و٩٠٠) ولا تخلط بينهُ وبين اخيهِ يوحنا باطيشتا الذي جاء ذكرهُ في صورة الايمان (المشرق ٧ : ٩٠١) وكلاهما سننشر لهما آثاراً مفيدة

٥) Grand Duc de Florence او فيورنسه

٦) اخصها فرنسة وانكلترة وصقلية وجينوا وفلورنسة وهولندة وراغوسا

٧) ربما كان يُنازَع على القنصلية كما نوزع باولو مارياني بسبي ڤانتو Vento فكان خلافهما سبباً لشرّ الويلات على المرسلين الفرنسيسكان واليسوعيين سنة ١٥٨٥

غفلة. وقد رسمت وامرت الولد المبارك الكاهن المؤتمن الراهب الناسك القمص غبريال (والقس غبريال) (١ وكذلك الارشي دياقن برسوم بان يتقدموا ويخدموا السراير المقدسة الجسد الطاهر والدم الذكي بخوف ورعدة وخشية من الله على جاري عادتنا الجارية بالكنيسة الاسكندرانيّة من غير زيادة ولا نقص ويكون ذلك فوق اجساد القديسين ماري بطرس وبولس باسمي انا الحقير غبريال الخادم بنعمة الله تعالى كرسي مار مرقص الانجيلي. فالاولاد المباركين المشار اليهم اعلاه يعتمدوا ذلك ويحفظوهُ في قلوبهم ولا يخالفوه ولا يحيدوا عنهُ لا يمين ولا ايسار. وقد نسأل السيّد المسيح صاحب كنوز الرحمة والنعمة الذي ارسل ملاكهُ رفائيل عاضد طوبيت في طريقهِ يكون معكما ويدبّر أُموركما في المضي والعودة وانتم سالمين طاهرين النفس والجسد وتكونوا مباركين من فم الثالوث القدس الآب والابن والروح القدس الواحد في الذاتيّة. ومن فم آبائنا الرسل القديسين الاطهار الحواريين الابرار ومن فم خلفائهم السادة البطاركة والاساقفة والكهنة ومن فمي انا الحقير غبريال السابع والتسعين في عدد البطاركة الخادم بنعمة الله الشعب المسيحي بمدينة الله الاسكندريّة ومصر والحبشة وما معهم من المدن والضيع والقرى بطلبات وشفاعات معدن الطهر والبركات الست السيدة العذرى الطاهرة مرتمريم (٢ وسائر طقوس الملائكة والآباء والانبياء وآبائنا الرسل والشهداء والقديسين والسوّاح والمجاهدين وسائر من أرضى الرب ويرضيهِ باعمالهِ الصالحة الآن وكلّ اوان والى دهر الداهرين. وسلام الرب يحلّ عليكما والنعمة والبركة والتحليل والغفران بكونا لكما. آمين والشكر لله دائماً ابداً

كتب يوم الثلاث المبارك تاسع شهر .. (٣

١) على الهامش

٢) السيدة مريم وهو تركيب سرياني محض لكنهُ جرى على السنة سائر الطوائف كالاقباط والروم الملكيين (المشرق ٢ : ٨٥٧) وشهادة بطريرك الاقباط متاووس في ٥ مسري سنة ١٣٨٨ قبطية (١٦٧١ ميلادية) وفي ١٨ هاتور ١٣٨٨ (المشرق ٦ : ٥٠٦ و٥٠٩) ورسالة البطريرك الملكي مكاريوس الى ملك فرنسة في ١٥ شباط ١٦٦٣ (المشرق ٦ : ٥٠١)

٣) قد مزّق طرف الرسالة لكن الموضوع والمقابلة بين هذه المذكرة وبين الرسائل التي نشرناها يسهل تتميم التاريخ كما جاء في المشرق (٢ : ٨٥٧) اي: ٥. . شهر طوبة سنة الف وثلثماية وثلاث عشرة للشهداء الاطهار رزقنا الله تعالى بركتهم وذلك كان بالوجه القبلي بمدينة ابنوب. وله الشكر امين

انطوان وكليوباطرة (١

نظر للاب ر. موترد اليسوعي

ولّى الرومان عليهم في اواسط القرن الاوّل قبل المسيح ثلاثة حكّام وبعد عشر سنوات اذعنوا الى كلمة حاكم واحد دُعي عاهلًا او بالأحرى مقدمًا وبقي الامر على هذا المنوال منذ عهد اغوسطوس. فدبَّ روح الطمع في صدر اثنين من أولئك الولاة وهما أُكتافيوس الذي تبنّاهُ يوليوس قيصر وانطوان القائد ذاك الذي اباح لهُ قيصر بغوامض اسرارهِ. فنشأت بين الاثنين مغايرة سالت لها الدماء كالانهار. وقد وضع في ايامنا هذه العالم ج. فيرّيرو في المجلّد الرابع من مؤلّفهِ « في عظمة وانحطاط رومة » بحثًا ضمّنهُ اخبار تلك المشاحنة ودعاهُ « بتاريخ انطوان وكليوباطرة ». فمن عنوانهِ يُستدلّ ما كان للشرق عمومًا ولمصر وملكتها خاصّةً من اليد في الامور التي جرت من عام ٤١ الى عام ٣١ قبل المسيح. واما العالم فيرّيرو فانهُ درس التاريخ درس رجل عالم بالابحاث الاقتصاديّة ومطّلع على ما ينتاب الانسان والامم من الاهواء والتقلّبات. ولهذا أتى بحثهُ جامعًا لشتات الفوائد مناقضًا في بعض فصولهِ لما كنّا نظنهُ الى الآن عين الحق. فرأينا والحالة هذه ان نتحف القرّاء بخلاصة ابحاثهِ في هذا الصدد

قال في الصفحة السادسة من كتابهِ: كانت مصر في مقدّمة العالم اقتصادًا وعلمًا زاهرةً بالزراعة حافلةً بالصنائع كثيرة الاتجار. شُيّدت فيها المدارس الشهيرة وأُتقنت فيها الفنون ولقد خصَّها الله بالخصب وعُرف سكّانها بالجدّ فاعملوا فيها ايدي العمارة. فمنها كان يؤخذ كتّان أشرعة جميع السفن الماخرة عباب البحار وكانت غلّاتها تقوم بعوز اهلها وبحاجات الامم المجاورة لها. وما من شعب على شواطئ البحر المتوسط جارى المصريين في الصناعة فاشتهر الاسكندريّون بحياكة الانسجة الثمينة وبتركيب الطيوب وصب

(١) G. FERRERO: **Grandeur et décadence de Rome.** — IV. ANTOINE ET CLÉOPATRE. Traduit de l'italien par M. U. Mengin. — *Paris, Plon-Nourrit et* C^{ie}. 3^{e} édition, 1906.

الزجاج وصقل البردي . واننا لنضرب صفحاً عن اشياء كثيرة كان التجار يذهبون بها الى كل صوب ويبيعونها فتدرّ عليهم بالارباح . وجمعت مدارسها انواع العلوم فأمّها الطلبة من كل فج حتى من البلاد اليونانيَّة للاطّلاع على اسرار الطب والفلك والبيان وكانت تلك المعاهد العلميَّة اوانئذٍ على نفقة الحكومة . ولم تكتفِ مصر ببيع ما يخرج من معاملها الصناعيَّة وباستجلاب الذهب والفضة والنحاس وغيره من المعادن بل انها استأثرت بمعظم تجارة الهند والشرق الاقصى

ولكنَّ لكلّ امرٍ آفة وآفة مصر إذ ذاك كانت حالتها السياسيَّة والاجتماعيَّة فانَّ الانانيَّة تسرَّبت بين طبقات الشعب وضربت على كل عاطفة شريفة فاصبح اهل البلاد لا نزاهة عندهم ولا كلمة تجمعهم الى ما فيهِ الخير العام ولم يكن ارباب الامور باعظم دراية واشدّ انفة من غيرهم فما كانوا يثبتون على رأيٍ ولا يهيمون إلّا بالدينار وكلّ ما سواهُ ينبذونهُ ظهريًّا فاضحوا ولا جيش يحميهم من سورة الاجانب ويكون لهم نصيرًا اذا ما شُنَّت عليهم الغارات . كثرت اذ ذاك رجال العلوم والعقول في مصر ولكنَّهم لم يعقدوا الخناصر على القيام بوجه رومة بل حاولوا ردَّها على الاعقاب بالدسائس والمكائد الخفيَّة حينما كانت المناضلة عن حقوقهم فرضاً لهم لازبًا لان مصر في تلك الايام كانت المملكة الوحيدة التي لم تكن امتدَّت اليها ايدي الرومانيين انَّما غناها وفراغ خزينتهم استلفتا اليها انظار العداة فلا غروَ انَّها تصبح عن قربٍ فريسة طمعهم

ولم تفت هذه الامور ادراك الملكة كليوباطرة فعزمت على ابرام محالفة مع رومة وذلك باقترانها بيوليوس قيصر انما مساعيها ذهبت ادراج الرياح فانحازت الى القائد انطوان ورغبت بان تكون زوجةً لهُ ظنًّا منها انهُ اذا ما قام معها انطوان بعبء المُلك قامت جيوش رومة بالدفاع عن مصر وبقيت البلاد على استقلالها وصارت على أمن من غوائل الدهر . فأجاب القائد الى رغبة الملكة . الَّا انهُ لم يتمّ الامر على ما عهدناهُ الى الآن تبعاً لرواية المؤرخين . فقد اثبت ج . فيرّيرو ان انطوان تردَّد حيناً قبل الاقدام على هذا العمل الخطير لعلمهِ ان أمّتهُ وجيوشهُ سينظرون الى هذا الزواج بعين الاستياء ويعدّونهُ خيانةً وحماقةً . غير ان الحاجة الجأتهُ الّا يحفل بهذه الوساوس لانهُ كان صفر اليدين من الدراهم ولم يبقَ لهُ ولا لمن شاطرهُ السلطة ادنى

مهابة لدى القاصي والداني ولهذا عزم الولاة الثلاثة على فتح بلاد الفرس استرجاعاً لسطوتهم واستدراراً للاموال. وكان يوليوس قيصر سبق فأشار الى هذه الوسيلة ووضع خطةً للحرب ذكر فيها مفصلاً عدد كتائب الجيش والطرق التي تمرّ عليها جحافل رومة. فلا جرم ان خطةً كهذه رسمها اعظم قائد تلك العصور كانت ضامناً وثيقاً للنجاح. انما القيام بها يستغرق مبالغ طائلة لاعداد الميرة وتهيئة عُدَد الحرب ووظائف الجند وكلّ ذلك تكفّلت بهِ الملكة كليوباطرة على شرط ان يتخذها انطوان زوجةً لهُ

ولم يمكث انطوان في مصر إلّا الزمن اليسير ثمَّ رحل عنها متغيباً ثلاث سنوات وذلك لردّ غارات الفرس لانهم زحفوا من مدينة كتيزيفون أبان فصل ربيع عام ٤٠ قبل المسيح واستولوا على سوريَّة وفلسطين وقيليقية وفينيقية ما عدا صور. وفي تلك الأيام اجتمع مرّتين مع قوّاد جيوش رومة واتفق معهم على القيام ببعض مهامّ حربيَّة. وعند منتهى السنة عينها تقاسم واكتافيوس العالم الرومانيّ فاشارت عليهِ كليوباطرة ان يؤثر اقطار الشرق الغنيَّة ويترك لقرنهِ ايطاليا وما يجاورها من الامصار الاوربيَّة. وبعدما استولى على أورشليم وسلّمها لهيرودوس سنة ٣٧ قبل المسيح تأهّب للزحف على الاعداء. ولكنَّهُ سافر فجأةً الى جزيرة كورفو وما كاد يطأُ ارضها حتى ارسل زوجتهُ اكتافية اخت اكتافيوس واولادها الى رومة واوعز الى احد اصدقائهِ ان يذهب الى كليوباطرة ويدعوها لملاقاتهِ الى سوريَّة فتمّ الامر على رغبتهِ. وفي غرَّة عام ٣٦ أُقيمت الافراح في مدينة انطاكية وعُقد للقائد الروماني على ملكة مصر. فأهدى انطوان لزوجتهِ جزيرة قبرس وبعض سواحل فينيقية ومغارس نخل اريحا واقطعها عدَّة غابات في جزيرة كريت وبلاد قيليقية. واما كليوباطرة فأنها فتحت امامهُ خزائن مصر ليأخذ منها ما يقوم بنفقات الحرب. وجرت حفلة الزواج على مقتضى عادات ملوك مصر غير ان انطوان حافظ ابداً على لقبهِ فعُرف دائماً بالوالي الروماني. ولم يتظاهر امام شعبهِ حتى في تلك الأيام انهُ طلّق اكتافية واقترن بامرأة اجنبية. وخلاصة القول ان انطوان وكليوباطرة عقدا هذا الزواج لغايات شخصيَّة واضمر كلٌّ منهما ان يستخدم الآخر لبلوغ اربهِ دون ان يقابلهُ بنفعٍ يُذكر

زحف انطوان في مائة الف جنديّ وذلك في شهر حزيران سنة ٣٦ قبل المسيح وعسكر على مقربة من مدينة ارزروم ثمَّ دارت رحى الحرب بينهُ وبين قاطني البلاد

احلاف الفرس فخامت فرسان الاعداء عن الايقاع بهِ لوعورة الطرق وكثرة الجبال. فلمَّا هبط الجيش الى السهول وحاصر القائد مدينة فراسيه قامت العقبات بوجههِ واستولى العدوّ على ما كان عندهُ من آلات الحرب واما هو فانهُ عجز عن اخذ المدينة عنوةً لكنَّهُ حفظ جنوده سالمين ورجع بهم القهقرى مسافة ٥٠٠ كيلومتر

فبذلت كليوباطرة جهدها لتجني ثمرة حبوط زوجها لانها علمت حقّ العلم انهُ لو كان فاز بالغلبة على الفرس ودوَّخ بلادهم لأعرض عن محالفة مصر. فرأت اذن ان لا بدَّ من اعمال الفكرة لابعاد خطر كهذا في المستقبل ولصدّ القائد عن الرجوع الى محاربة الاعداء ولصرف همَّتهِ الى اقامة مملكة مصريَّة عظيمة الشأن رفيعة الكلمة معزَّزة لا تنالها يد ولا تنتابها الغوائل. فاخذت تزيّن لهُ فتح بلاد ارمينية وتحضُّهُ عليهِ لما يكون وراءهُ من الفوائد فاذعن لمشورتها وخرج بجيشهِ في ربيع سنة ٣٥ فكان النصر اليفهُ. ولدى رجوعهِ الى الاسكندريَّة أُقيمت الاعياد احتفاء بهِ واجلالاً لهُ وخُتمت بحفلةٍ انست كلَّ ما تقدَّمها. فنُصبت لانطوان ولكليوباطرة واولادهما اريكة من الفضة على مرأى من الشعب فلمَّا ارتقاها نادى بكليوباطرة وقيصريُون ابنها وابن يوليوس قيصر ملكَي الملوك ثمَّ قسم بينهما وبين اولاده الثلاثة الذين رُزقهم من كليوباطرة مملكة الاسكندر وبعض الاقاليم الرومانيَّة. فأتى الامر مجحفاً بحقوق رومة ومناقضاً لعظمة سلطانها ومع ذلك لم يزل القائد مثابرًا على خطَّتهِ القديمة فكان يكتب الى مجلس أُمتهِ ويتظاهر انهُ احد ولاة الرومانيين. ولم يجاهر بطلاقهِ لاكتافية بل كان يُوهم انهُ يشاطر كليوباطرة السلطة العامَّة لا غير وهو يثق بمصادقة بني جلدتهِ على ما اقطع لكليوباطرة واولادها عادًّا كلَّ ذلك كنظام جديد لاقاليم الشرق

فلا عجبَ اذا كانت هذه الحوادث اقلقت خواطر شعب ايطالية. ولهذا نهض حينئذٍ اكتافيوس وصمَّم العزم على مناجزة قرنهِ لانهُ اذا ما استولى انطوان على مملكة الفرس واضاف تحفها واموالها الى ما جمعهُ من الذهب والفضَّة في مصر وارمينية اصبح استقلال رومة في خطر مبين. وكان اكتافيوس فيما سبق منهمكاً بالملاذ غير ان هول المقام انهضهُ من رقدتهِ وخوَّلهُ حزماً لم يكن يعهدهُ من نفسهِ فانتصب مدافعاً عن حقوق البلاد وصوَّب سهم اللامة على اعمال خصمهِ وآلى ألَّا يدع حرمة الشرائع تُنتَهك ويلحق مجد الشعب الروماني شائبة ما وسأل اخيرًا مجلس الشيوخ ان يعطيهُ قسماً من مصر لانهُ على زعمهِ

اصبحت اقليماً رومانياً . فعضدهُ الرأي العام عازياً الى كليوباطرة النيَّة بالاستيلاء على ايطالية ورومة

فحاولت ملكة مصر جهدَ الاستطاعة في سبيل الدفاع عن بلادها ولذا امرت بجمع الاقوات والثياب وباحضار عدَّة الحرب ثمَّ اخذت من الخزينة عشرين الف مثقال وهو مبلغ يوازي في اَيامنا نحو مئة مليون من الفرنكات وركبت متن البحر وذهبت باسطول ضمَّ مئتي سفينة ولحقت بزوجها المقيم اوانئذٍ في مدينة افسوس وكان ذلك في اواخر سنة ٣٣ قبل المسيح

وكان عامل السلم وعامل الحرب يتنازعان القائد انطوان لان كثيرين من اصحابهِ خرجوا من رومة واسرعوا لملاقاتهِ وكلهم رغبة بالصلح وسكينة البلاد انَّما خافت كليوباطرة ان يتحوَّل الوئام بين الخصمين الى وقرٍ ثقيل عليها فصرفت جلَّ العناية لتحمل زوجها على ان يجاهر بطلاقهِ لاكتافية فافلحت . وكان انطوان إذ ذاك يفكّر في امر المدافعة عن اقاليمهِ ففرَّق جنودهُ في عدد عديد من الامصار ولم يجمعها جيشاً عرمرماً يسير بهِ لمصادمة كتائب قرنهِ ولدى مفاجأة اكتافيوس لهُ تحصَّن في معكسرهِ بأكسيوم وفي تلك الاثناء علمت كليوباطرة انَّهُ اذا ما نال زوجها اكليل الظفر فسيؤمّ مدينة رومة لاصلاح الخلل وارجاع الامن بين الشعب وتوطيد دعائم السلم في المملكة وبذلك يكون خراب مصر فاقنعتهُ بالاياب معها الى الاسكندريَّة دون ان يناجز خصمهُ القتال إلَّا في البحر فتكون المعركة بين الاسطولين كستر يحجب هربهما . غير ان بعض اماثل الرومانيين من اصحاب انطوان اطَّلعوا على هذا القصد فقاوموهُ وادَّى بهم الامر الى مخاصمات عنيفة مع كليوباطرة حتى انَّ القائد خاف ان الملكة تغضب عليهِ فتسمّهُ . ولمَّا اشتبكت المعركة بين الاسطولين هبَّت ريح شماليَّة وللحال اقلعت كليوباطرة بسفنها ومرَّت بجراءَةٍ بين مراكب المتقاتلين وتوجَّهت نحو بلاد البيليبونز وعندئذٍ ركب انطوان مركباً ذا خمسة صفوف من المجاذيف ولحق بها

وتردَّد اكتافيوس في شأن مطاردتهِ وبذلك خوَّلهُ وقتاً ثميناً ليتأهَّب بهِ للدفاع لكنَّ انطوان لم يثبت على خطَّة واحدة بل كان يُبطل اليوم ما امر بهِ الامس . ولما اقترب اكتافيوس بجيشهِ من الاسكندريَّة اخذت كليوباطرة تعلّل النفس بحفظ مصر تحت سلطتها اذا ما خانت زوجها واسلمتهُ الى عدوّهِ اما هو فانهُ يئس الحياة وانتحر . وبعد

أيام قلائل تحققت الملكة ان اكتافيوس سيأخذها اسيرةً ويعرضها يوم ولوجهِ رومة لهزء الشعب وسخريتهِ فآثرت الموت على الذلّ. فوجدها اعوانها يوماً مضّجعةً على سرير ثمين وقد تزينت بحلاها ولبست أفخر ثيابها وهي جثة بلا حراك وعن يمينها غلام قد قضى نحبهُ وعن يسارها غلام ثانٍ في آخر رمق من الحياة

وضمّ اكتافيوس مصر الى اقاليم رومة ولكنهُ تحاشى كلما يذلل كبر المصريين فتظاهر انهُ الملك الجديد على البلاد والخلف الشرعيّ لسلالةٍ قد انقرضت . واقام نائباً عنهُ ليحكم بين الشعب وامرهُ ان يتخلّق ما استطاع باخلاق من يدير شؤونهم . لكنها نزلت بثروة مصر نازلة كادت تودي بها فغرّم كلّ فرد من السكّان سُدس مالهِ وأكرهَ الاغنياء على دفع مبالغ عظيمة وأُخذت آنية الذهب والفضّة المحفوظة في المتاحف وضُربت نقوداً وقبض اكتافيوس على خزائن ملوك مصر واقتسمها مع اصحابهِ واعوانهِ ثمّ أقفل راجعاً الى رومة وسكتت الارض امامهُ . فسبحان من يدوم ملكهُ لا إله سواهُ

المَرْيَمانيَّة أو البَرْبَرانيَّة

لحضرة الاب انستاس الكرملي

١ تمهيد

اذا نكّب المرء عن جوادّ الحق الرَّحبات . اخذ للحال في وادي جدَبات . او رقي من فوره تقباً كلُّهُ عقَبات . وهيهات يصل الى ما يقصدهُ من الغاية المطلوبة والف مرَّة هيهات . ولاسيما اذا كان يصل السَّير بالسُّرى في مثل هذه المهايع الكاذبة . بعيداً عن الطُرُق اللاحِبَة

فلقد نشأ في حجر النصرانية بدع مختلفة متباعدة بعضها عن بعض او متدانية بعضها من بعض . في انحاء شتى من اقطار الارض . فتضاربت وتحاربت في ما بينها . فضعفَ شيِّنها فقوِّى ذلك زَينها . وملت منها ما مات . وبقي منها الصحيح او ما لشبهةُ بعض الصفات . امَّا ما كان منهُ بعيداً عن الحقّ . بُعدَ الرتق عن الفتق . فقد زال وانقرض . ولم يبقَ منهُ أثر جوهر او عرَض . ومما يدخل هذا الباب بدعةٌ عبدت مريم العذراء عبادة

تقرب من عبادة ربّ الارباب . كأنها تذكرت كلاماً منسوباً الى القديس ديونيس الاريوفاجي القائل : « ان العذراء حسناء اي حسن حتى انهُ يبهر العيون . ولولا علمي ان الله واحد لعبدت العذراء عبادة إلاه السماء » فاصلحت هذا الكلام بان ادّت للعذراء عبادة حقيقيّة وقرّبت القرابين لها . سامحهم الله على هذه الجريرة الكبيرة الصادرة عن جهل اكثر من ان تكون صادرة عن فكر او بصيرة . ولاسيّما اذا علمنا ان القائلين بهذه المقالة هم من اعراب البادية لا غير

٢ اسمهم ومعتقدهم

قد اختلفت الرواية في تسميتهم ومهما اختلفت فلا تبعد عن الصحة ابداً . فمنهم من سمّاهم المَرْيَمونية نسبة الى مَرْيَمون تصغير تحبيب او تعظيم لاسم مريم على الطريقة الإرَميَّة . وممّن ذكرهم بهذه اللفظة صليبا بن يوحنّا القسيس الموصلي في كتابه « رسالة البرهان والارشاد . الى المحبة ثمرة الدين والاعتقاد » أو كتاب إسفار الأسرار (راجع المشرق ٧ : ٥٨٦ و٩٨٥) في ص ١٨٣ من نسختنا وهذا نصُّ كلامهِ :

« المريمونية (١ هؤلاء كانوا قوماً يعتقدون في مريم انها إله ولدت المسيح الذي هو إلهٌ حقّ من إلهٍ حقّ ابن جوهر ابيهِ وابن جوهر أُمهِ الذي كان ظهورهُ للعالم بالولادة منها بجملة كليتهِ

« واحتجوا على ذلك وقالوا : انما كان ابن الإله إلهاً لانهُ من جوهر والدهِ . واذا كان ذلك كذلك فغيرُ إلهٍ لا يَلِدُ الهاً لو كنتم تفهمون . واهل هذا الرأي كان لهم في كل سنة يوم معروف يجتمعون فيهِ ويقيمون الصلاة ويتخذون قُرْصَةً واحدةً من خبز السميذ الفائق البياض ويقدمونها قرباناً على اسم السيّدة مريم . اه »

وقد سمّاهم البعض « المَرْيَمانيّة » نسبة الى مَرْيَم على الطريقة الإرَمية . وهي لغة مقبولة . وقد ذكرها بهذه الصورة ابن تيمية في ردّهِ على النصارى المسمّى « بالجواب الصحيح » ٣ : ٤٠ إذ يقول : « . . . فمنهم من يقول المسيح وامهُ الهان من دون الله وهم المريمانيّون ويسمّون المريمانية »

١) وفي حاشية كتابنا : ويروى في أغلب النسخ : المربونية او المريونية . قلت : والاصح الرواية الاولى لان هاتين الروايتين بيّنتا التحريف القبيح المرغوب عنهُ

وسمّاهم آخرون « المريمية » نسبة عربية الى مريم منهم سعيد بن بطريق (في ص ١٢٦ من تاريخهِ المطبوع حديثًا)

وسمّاهم آخرون « بَرْبَرانية » وهي لفظة اطلقها عليهم الارميون. ومعنى اللفظة « أبناء البرّ » كأنّ هذه البدعة خاصة باعراب البادية فهو مثل قولك: « بدعة الأعراب » وقد سمّاهم كذلك ابن بطريق في تاريخهِ المذكور ص ١٢٦ إذ يقول: « فمنهم كان يقول: ان المسيح وأمهُ الهان من دون الله وهم البَرْبرانِيّة ويُسمّون المريميين » وكذلك سماهم ابن تيميَّة ايضًا في عدَّة مواطن من كتابهِ (راجع ٢: ٣١١ مثلًا). وقد اعجم هذا الحرف بعضهم فذكروهُ بصورة « بَرْبَزانيَّة وبَزْبَزانيَّة وبَرْبرانيَّة. وكلها تصحيفات قبيحة » والاصحّ براءين مهملتين

واما علماء الافرنج فسمّوهم (Collyridiens) (١ والكلمة مأخوذة من (collyrium) اللاتينية المنقولة عن اليونانيَّة κολλύριον من κολλύρα اي عجين او قُرْصَة (ومنهُ عند العرب اسم القِلَّار او القِلَّاريّ لضرب من التين قِوام داخلهِ قوامُ العجين ويبقى كذلك اذا رُبّي برُبّ عقيد العنب. راجع التاج في ق ل ر)

وقد وصفهم الاب يوسف ليان بقولهِ: « انتحلت بعض قبائل العرب الديانة النصرانيَّة فاكرمت مريم اعظم الاكرام. ومنذ عيد القديس ايفانس كانوا يقدّمون لها قرابين هي قُرَص من سميذٍ وعسلٍ. إلّا ان الاسقف القديس أفهمهم ان القرابين والذبائح لا تقدَّم إلّا لله وحدهُ

« هذا وكان القصّاصون من الأعراب يجلسون في فَيْءِ النخل فيقصّون على سامعيهم أشهر حوادث سيرة العذراء القديسة صابغين تلك الوقائع بلون هذا الصِبْغ

(١ وقد سمّاهم بهذا الاسم الاعجمي اي قلوريّين ثاودوروس برخوني في كتابهِ المعنون « بالاسكوليون » قال: القلوريّون – هؤلاء يقربون في يوم واحد من كل سنة قلورة (قُرْصة) باسم مريم ومن اجل هذه السنَّة سمّوا قلوريين. وسمّاهم ثاودوريطوس دادونيين (Δαδῆνες) وسابيين (Σάββας) وادلفيين او متآخين (ἀδελφιός) وعرميين ἑρμᾶς (كلمة ἕρμα,ατος توافق العربيَّة عرمة بجميع معانيها تقريبًا. ولا جرم ان العربيَّة مأخوذة من اليونانيَّة لان ليس في الاصل العربي معنى يتركب عليهِ هذا المعنى الفرعيّ. بخلاف اليونانيَّة فان « عرم » معناه: تَشدّد وقوّى واثبت الخ) وسيميونيين (Συμεώνης). راجع تاريخ الكنيسة الكتاب الرابع الفصل العاشر

صِنْع العجيب الذي يعجب ابناء اسماعيل كل العجب» . اه

اما تتمة اخبار هذه الفرقة: فانها نشأت في بلاد العرب في المائـة الرابعة للميلاد وكانت النسـاء كواهنَ لهذه النحلة. وكان لهنَّ عَجَلَة فيها كرسي مربَّع عليـهِ كنفة ثوب وبعد ان يُقدّمنَ القربان كانت النسـاء الحاضرات تتقاسمنهُ بينهنَّ . وقد ازال هذه البدعة القديس ابيفانس المنوَّه عنهُ سابقاً . بعد ان اثبت لهم ان القرابين لا تُقرَّب الَّا لله وحدهُ وان الكهنة لا يكونون الَّا رجالًا . فعفا بذلك اثرها . وانقطع عنَّا خبرها . وربك الباقي انهُ الازلي الابدي

٣ المادون لمريم

ومما يجدر اثباتهُ هنا « والضدّ بالضدّ يذكر » فرقة تُهين العذراء كل الاهانة وتنزع منها عُنوان فخرها . وميِّز فضلها وقدرها . وهي فرقة تقول بان مريم وَلَدَت اولاداً آخرين غـير يسوع . ورأس هذه الشيعة المقوتة الملعونة « هَلْفيذيوس » وقد سند ضلالهُ على الانجيـل الشريف الذي يذكر اخوة ليسوع الذين ما هم على الحقيقة إلَّا اولاد خالته على اصطلاح الشرقيين الذين يجيزون هذا التعبير . كيف لا وهم يطلقون الاخ على كل مشارك لغيرهِ في القبيلة او في النسب او في الدين او في الصنعة او في معاملة او في مودة او في غير ذلك من المناسبات . فيقال : للشرّ اخو الخير وللفقير اخو عيلة وللنوم اخو الموت وللكثير السفر اخو سفار وللذليل اخو الخنع من الخُنُوع وهو الذلَّة . الخ . الخ

وقد كتب هذا الخبيث سفرًا قائمًا برأيه يثبت فيهِ كفرهُ اي ان مريم غير عذراء ولهذا سُمّي من شايعهُ الهَلفيذيون او المُعادون لمريم او المخالفون (١ لبتولية مريم وبالفرنسية (antidicomarianites, adversaires de l'honneur de Marie, anti-Mariens *ou* Helvidiens)

وهذه البدعة لم تَغنَ زماناً طويلًا بل ماتت وهي طفل في مهدها الـذي اصبح لحدًا لها بجاه تلك الام الوالدة البتول والدائمة البتولَّة

---

١) وسمَّاهم ثاودروس المذكور في كتابهِ باسمهم الاعجمي اذ قال : « الأنطيديقومريميطا » ومعنى اسمهم المعادون لمريم يزعمون ان مريم بعد ولادة مخلصنا لم تبقَ عذراء بل عاشت مع يوسف وولدت منهُ بنين وبنات ويزعمون ايضاً ان يعقوب وبولس وهما الابنان اللذان رُزقهما يوسف من زوجتهِ الاولى (على زعم البعض . اطلب المشرق ٣ : ٢٨٠ ، ٤١٢) كانا ابني مريم . اه

مثال البرّ

للاب لويس فؤاد اليسوعي

— ابتِ اخاف ان يؤول الامر الى ما لا تُحمد عقباه

— اركن الى قولي بني وسكّن روعك فاني اختبرت المصل

— قد يختلف المفعول احياناً مع اختلاف الدماء. المؤثر فيها المصل. تدبّر في الامر اصلحك الله والدي

هذا ما كنت تسمعهُ من عربة تسير الهوينا على طريق فرسالي يركبها شيخ جليل يقال لهُ الدكتور شميت من اساتذة المكتب الطبي بباريس وعلى يسارهِ وحيده يوسف شابٌ تقيّ الثوب يستشفّ من خلال قشرته الرقيقة دم زكي يغلي حباً لله ولابيهِ العزيز

وكان الدكتور يحبّ ولدهُ حباً عظيماً ويعطف عليهِ لان أم يوسف توفيت وهو في نعومة اظفارهِ. فاحسن ابوهُ تربيته ولم يكفّ عن تكرار النصيحة عليهِ ويحرّضهُ على اقتباس المعارف والتشبُّث بمحامد الاخلاق حتى نشأ يوسف وشبّ وهو يتشرّب من تعاليم والدهِ ويقتبس من أمثالهِ الصالحة. ولمّا أتمّ دروسه الابتدائية وكان لهُ من العمر ثماني عشرة سنة انتظم في سلك طلبة مدرسة الحقوق ولم يمضِ القليل حتى اصبح زينة اقرانهِ ومحلّ اعجاب كل من سمعهُ واختبر عقله وآدابه

غير ان الدكتور شميت والدهُ لم يكن ممّن يرضون بحالهم مع ما انعم الله عليهم من جزيل خيراتهِ فكان لا يزال يطلب المزيد في الرفعة والشهرة. وكان قد خصّص أوقات فراغهِ لتجهيز مصل لم يُذكر من ذي قبل لعلّهُ ينال بهِ صيتاً يرفعهُ في عيون سائر الاطباء. ثمّ اختبر المصل في الحيوان وايقن نجاح فعلهِ فعزم على ان يعالج بهِ المرضى. لكنّ ولده يوسف قام يمانعهُ في مشروعهِ ويحثّهُ على التروي في الامر قبل مباشرتهِ خشية من سوء العاقبة فساور الدكتور البلبال وهو لا يدري ما العمل فكان طوراً يذعن لمشورة ابنهِ لئلّا تأتي الرياح بما لا تشتهيهِ السفن وتارةً ينبذ النصح وراء ظهرهِ مستبشراً بحسن العاقبة. واتفق اذ ذاك ان تغيّب يوسف عن باريس لأنّ الدروس كانت انهكت قواه فالزمهُ ابوهُ بالانصراف الى شامخات جبال السويسرة قصد الارتياض بعيداً عن

ضوضاء المدينة الباريزيّة. واستغنم الدكتور هذه الفرصة ليتمّم مرغوبه فاستتبّ لديهِ الرأي ان يعالج بالمصل الجديد جاك احد مرضى المستشفى

ولا تثريب على الدكتور شميت في ان يستعمل المصل المذكور حيث جرّبهُ في الحيوان وأثبت لهُ الفحص نجاح المفعول. على أنك كنت تراهُ مرتجفاً منتقع اللون ساعة قبض على المبضع ولقّح المريض بالمصل. ومن ثمّ جعل يتردد على جاك لعيادتهِ واستنطاقهِ عن حالتهِ وكان هذا يجيب يومياً الجواب نفسه «اني أشدّ ضعفاً ممّا كنت عليهِ امس». فتكدّر صفو الدنيا في وجه شميت وكان قد طار الخبر في اطراف العاصمة وتجسّم من تناقل الافواه بهِ. وما لبث ان أُدرجت قضيّة شميت امام أُولي الشرع وجازت في قليل من الايام المحاكم على اختلاف طبقاتها من ادناها الى التي تليها حتى انتهت الى المجلس الأعلى فحُكم على الدكتور طبقاً للبند التاسع والثلاثين من لائحة الجنايات بالسجن الاحتياطي ريثما يتضح أمر جاك المريض

ولمّا تناقلت الجرائد الحكم القاضي على شميت بالسجن بلغ الامر ابنهُ يوسف وكان إذ ذاك في احدى حدائق برن يقصد النزهة فوقع على وجههِ كمن أُصيب بشلل عامّ لا يعي أين هوَ ولا ما حلَّ بهِ. فاتى الشرط واحتملوهُ الى المستشفى وجلس الطبيب يجرّعهُ الادوية المنعشة حتى افاق من سباتهِ ففتح عينين واسعتين وحملق ثمّ صاح بصوتٍ أليم «اه يا والدي... والدي...» ثم غاب عن الرشد وهو يئنّ انيناً موجعاً وبينما الطبيب يتفرّس بنظرهِ في الشاب لعلّهُ يقع على ما يهديه الى اسمه رأى يده مطبقة على رقعة فاخذها فاذا هي صحيفة الجريدة المنطوية على تفاصيل قضيّة الدكتور شميت؟ فاتضح لهُ بالمقابلة بين ما قرأهُ وما سمعهُ من يوسف عند اياب حواسّهِ ان الاب الذي تألّم لهُ الشاب هو نفس شميت المنكود الحظ. فتحرّكت ليوسف من قلب الدكتور لور رحمة وخاف ان تهدّ هذه النكبة قواه وهو ضعيف البنية ولربّما اثّرت فيهِ الهموم فقصفت غصن شبابه النضر. فاخذ يلاطفهُ ويوطد رجاءهُ في خلاص ابيهِ حتى رجع الى رشدهِ. وكان يوسف عارفاً بطول باع السيّد لور النطاسي البارع وما هو عليهِ من السؤدد واليسار فلم يتمالك ان انحنى امامه شاكراً اياه عمّا أظهرهُ نحوه من جزيل المعروف. ولحسن الطالع كان لور من أعزّ أصحاب شميت حيث تلقيا العلوم الطبيّة تحت سماء واحدة فشقّ عليهِ ما ألمّ برصيفهِ واصبح شريكاً ليوسف فيما عالهُ فقال لهُ: ان صدق

الاخاء يحثهُ كلّ الحثّ على الاخذ بيده ومساعدته فينتشلا معاً الدكتور من موقفهِ الخطر

☆

صفر القطار وطار حاملاً على جناحيهِ السيّد لور والشاب يوسف فخرق الجوّ وقطع القفار والبراري بسرعة البرق مدبراً من برن قاعدة بلاد السويسرة ثمّ بيزنسون ثم ديجون الى ان حطّ في باريس بعد ما ينيف عن عشر ساعات مضت على يوسف كأنها اشهرٌ وسار الدكتور لور من وقتهِ الى المستشفى ليعود جاك المريض ويبحث في علّتهِ وطريقة شفائها

هذا ما كان من أمر الشاب يوسف ومُعينه . اما الدكتور شميت فانهُ لما حُكم عليهِ بالسجن الاحتياطي حتى الرأس مذعناً للامر القاضي عليهِ وانصرف الى السجن وهو يعثر باذيال الخيبة . فلمّا اقبل يضرب ببصرهِ في اطراف محبسهِ امتلأ قلبهُ مرارة على مرارتهِ وانهلّت العبرات من مآقيه كالوابل الهاطل وهو يقول: « ما اطمع قلبك يا ابن الانسان : لو كنتُ اكتفيتُ بنصيبي من العيش واذعنت لنصح ولدي لما بتّ الليلة بين جدراني هذه الغرفة المظلمة »

وبينا كانت تساورهُ اقبح صوَر القنوط واليأس جاءهُ السجّان ودفع اليه صحيفة عرف الدكتور من خط عنوانها ان مسطّرها هو ولده يوسف فقرأ: « تجرّع والدي كأس الضيم بقلب صبور وشهامة نفس عسى فرجاً قريباً يأتيك من لدنهِ تعالى » . واما الداعي الى هذه الرسالة فهو ان السيد لور بعد ان تبيّن علّة جاك ترآى لهُ ان نجاته من الموت ليست ضرباً من المحال لانّ فعل المصل كان بقي محصوراً في الشقّ الأيمن فجعل الدكتور لور يبحث عن وسيلة لايقاف العلّة في طريق امتدادها حتى تقرّر لديه انهُ يستطاع ان يحصر الفساد الجاري في الشقّ الأيمن على شريطة ان يلقّح العليل بدم بشر . فارتاب لور في امرهِ وتعرقلت لديهِ الأسباب . وكان قد رأى فيهِ الشاب يوسف علامات الارتباك رغماً عمّا كان يتظاهر بهِ من الهدوّ والسكينة . فجهد في الاستطلاع منهُ عما انجلى في حال جاك حتى صرّح لهُ الدكتور بالامر . فنهض يوسف منتصباً وقد أحسّ من نفسهِ قوّة في التفاني فكشف عن صدرهِ وقدّمهُ للسيّد لور قائلاً: وهل دمي يحسن لتلقيح المريض ؟

أجاب لور : أسفي على شبابك يا يوسف وكيف تعرّض جسدك البالي لامراض ربّما افضت بكَ الى الموت ؟

— ما أشهى الموت على قلبي لو ادركت بهِ خلاص أبي وخلعت العار عنهُ

— وماذا يجديك خلاص الدكتور ان متَّ انت عقيب خروجهِ من السجن ؟

— وايُّ لذّة تجديني الحياة لو أهان الناس أبي وقالوا فينا ما يبقى علينـا عارهُ الى الدهر ؟

وبالغ الدكتور في نصح يوسف حتى يرجعهُ عن مراده الّا ان ذلك لم يكن ليثني الولد الودود عن عزمهِ فهتف قائلًا : هيهات ان ابخل بدمي وبهِ اغسل الحوبة عن ابٍ محبّ بذل الروح لي دومًا ؟ لعمري ان دمي حلال في من ربيت في فيض نعمتـهِ : افديك ابتِ بالروح والجسد ولا فضل لي في ذاك بل الفضل لك اذ لولاك بعد ربّي لما سرى في عروقي دم ولا تصعّد من صدري نفس . . ناشدتك الله سيدي الدكتور ألّا تحرمني نعمة طالما تاقت اليها روحي

فأثّر هذا الكلام في السيّد لور تأثيرًا شديدًا فما تمالك حتى هتف : « كنتُ اظنّ المحبة الى هذا المقدار من الشهامة أمرًا خياليًّا وقد جاء مثلك مصداقًا على ما كنت لم احفل بهِ وعلمتُ انَّ الكرم حيٌّ لم يمتْ حتى الان . فليكن بنيَّ ما اردت »

☆

أتى على الشاب يوسف أسبوع بعد ان استخرجت الاطباء من دمهِ ما لقّحوا بهِ اعضاء جاك البالية فتقوّى على جراثيم الفساد الجارية فيهِ واخذت تسري في عروقه العافية . اما قوى يوسف فكانت في حالة من الضعف يُرثى لهـا فإن ما سال من دم جسدهِ النحيل انهك قواه وتأكلت الحمّى لحمه فاصبحت حياته في خطر منذر . وكان الدكتور لور ملازمًا لهُ ليلًا ونهارًا يعالجهُ بما أُوتي من المهارة في صناعته غير انهُ ما عتم ان ظهرت على مثال البرّ وسمة الموت فطلب الشاب التقي ان يزوّد الأسرار المقدّسة فقبلها بوقار مردّدًا اسمي يسوع ومريم ومن ثمَّ وجّه افكاره الى دار الخلد فكان لهُ عبارات يصف بها السماء ونعيمها تسبي عقول السامعين وتحيك في قلوبهم

وكان إذ ذاك قد قدّم السيّد لور قرارًا للمجلس وقّع عليهِ اطبّاء المستشفى يطلب فيهِ اطلاق الدكتور شميت من السجن اذ تعافى جاك ورجعت اليهِ الصحّة فاطلقت المحكمة سراح السجين على انها حكمت عليهِ بغرامة قدرها الف فرنك تعويضًا لجاك عن المدّة التي قضاها في المستشفى من يوم لقحهُ الدكتور شميت بالمصل

ولما أُطلق سراح السجين اقبل السيد لور واصحابهُ معهُ يستقبلونهُ على باب المجلس

ويهنئونهُ فما كان أشدّ انذهالهُ لما لم يلمح ابنه يوسف بين من حضر وهو في اشتياق حارّ الى ان يضمّهُ الى صدرهِ فسأل أين يوسف؟ ولما نكّس الجمع رؤوسهم ولم ينطقوا ببنت شفة صاح الاب المحبّ بصوتٍ أليمٍ كأنّهُ ادرك ما حلّ بفلذة كبدهِ: ناشدتكم الله اخبروني أين يوسف. فاستدعاهُ السيد لور واخذهُ على حدةٍ واوقفهُ على حقيقة الحال والدكتور يردّد بصوت يقطعهُ الحزن: ولدي ولدي ... ومن لنا بوصف حالة ذلك الوالد المسكين لما دخل على ولده ومنتهى آمالهِ ووجدهُ على آخر رمق من الحياة فاستطار فؤادهُ التياعاً واكبَّ على وحيده يوسف يقبّلهُ ويغسل جراحهُ بماء جفنيهِ وكان قد تفطّر فؤاد الحاضرين لذلك المشهد الفاجع فتقاطرت عبراتهم جميعاً وهتف شميت: اغفر ذنبي ولدي انا السبب في موتك واسمعني الكلمة الاخيرة من فيك اترى قد صفحتَ عني ... قال ثمَّ اجهش بالبكاء فانقطع عن الكلام.....

امَّا يوسف فحرَّك شفتيهِ كمن يحاول النطق فلم يقدر لكنهُ انحنى على والدهِ وقبَّلهُ قبلة افادت ما طلب... ثمَّ سقط رأسه على صدرهِ واذا هو فارق الدنيا

وبعد بضعة ايّام استقال الدكتور شميت من خدمتهِ وقد ادَّبتهُ حكمة ابنهِ والحكمةُ التجارب فاعتزل في إحدى القرى المنقطعة واقام فيها ليقضي باقي حياتهِ في الصلاة والعبادة وهو يعيد في ذاكرتهِ ما حدث لهُ فترتعد فرائصهُ من مجرَّد ذكر يوسف وما قاساهُ بسبب ابنهِ الودود. وكان يتردَّد الى ضريحهِ حيث كتب هاتين الكلمتين «مثال البرّ»

نصرانيَّة غسَّان

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تتمَّة)

وهذه الكتابة العربيَّة المسيحيَّة اوَّل كتابة وُجدت من عهد الجاهليَّة بالحرف العربي كتبها في ايّام الملك المنذر الغسَّاني (١ شرحبيل بن ظالم احد امراء غسَّان سنة ٤٦٣ لبصرى الموافقة لسنة ٥٦٨ للمسيح (٢. وقد وُجدت سنة ١٨٧٩ في زبد كتابة

---

١) قد وقع غلط في العدد الاخير (ص ٥٢٥) س ٣) حيث قيل ان هذه الكتابة «هي للملك المنذر»

٢) اطلب Waddington: *Inscript. gr. et lat. de la Syrie*, n° 2464

أقدم منها بالعربيَّة والسريانيَّة واليونانيَّة. تاريخها سنة ٥١٢ للمسيح وهي الاثر الثاني بالحرف العربي قبـل تاريخ الهجرة لا يُعرَف الى الآن غيرهما ومن العجب ان الاثريين تكتبة نصارى . وناهيـك بذلك شاهداً على امتداد النصرانيَّة بين العرب. أمَّا الآثار اليونانيَّة في بلاد غسَّان فلا تكاد تُحصى وقسمُها الكبير بل الاكبر نصرانيّ محض وهي عبارة عن كتابات دينيَّة كبيع ومشاهد ومدافن وغير ذلك ممَّا يُرى في كلّ قرية او خربة وليس بين تلك الآثار كتابة تدلُّ على اليهودية بين الغسَّانيين

٦ ومن هذه الآثار القديمة اعلام الامكنة التي بقيت حتى اليوم كدليل ناطق على اتّساع النصرانيَّة في منازل غسَّان لاسيما الصفا وحوران. فان عدداً دثرًا من اسماء الامكنة يُدعى في زماننا بالدير كدير الكهف ودير علي ودير قنّ عدَّدها الاثريون دي ڤوگوي ووادنغتون ودوسُّو وغيرهم

٧ ويضاف الى هذه الشواهد جداول المراكز الدينيَّـة التي تدلّ على تعدُّد الاسقفيَّات في تلك الانحاء. فان مطران البصرى وحده كان يحكم على ٢٠ اسقفاً (١ وكان بعض هؤلاء الاساقفة يتنقّلون مع القبائل الراعية فيسكنون الخيم ولذلك يدعونهم اساقفة الخيم (ἐπίσκοποι τῶν παρεμβολῶν) وقد امضوا غير مرَّة اعمال المجامع بهذا التوقيع « فلان اسقف اهل الوبر » او « فلان اسقف القبائل الشرقيَّة المتحالفة » او « فلان اسقف العرب البادية » (٢. أفترى بيّنة أعظم من ذلك على انتشار النصرانيَّة بين الغسَّانيين

٨ ولمَّا انتشبت الحرب في اوائل الاسلام بين الروم وخالد بن الوليـد كان مع الروم عدد من عرب النصارى يبلغهُ الكتبة الى مئة الف مقاتل (٣ كان قسم كبير منهم من بني غسان. وان قيل ان هذا العدد مُبالغ فيهِ فيبقى دائماً ان العرب المتنصّرين كانوا قوماً يبلغون الالوف المؤلفة

أفتكفي هذه الحجج مناظرنا ليقرّ بصحَّة قولنا عن غسان انَّها كانت تدين بالنصرانيَّة

---

١) وجاء في بعثة دوسو الى بادية الشام (René Dussaud: *Mission dans les régions désertiques de la Syrie moyenne*, p. 77) انَّ عددها كان ٣٣

٢) اطلب مجموع اعمال المجامع (Labbe : IV, 83, 91, 268)

٣) راجع ما كتبهُ ايليا النصيبيني المؤرخ (Elias Nisib. *ap. Baelhgen*, Fragm. 109)

ولو شئنا لعززنا هذه الادلَّة بشواهد أُخرى من كتبة السريان كميخائيل الكبير وابن العبري ويوحنَّا اسقف افسس ويوشع العمودي ونصوصهم توافق ما ذكرناه آنفاً . فكيف يستطيع الكاتب البغدادي ان ينسب كلامنا الى الغرض او التعصُّب . وان كان لا يقنع بما أوردنا فندعهُ وشأنهُ لعلَّهُ يجد غيرنا يرشدهُ الى الصواب

هذا ولا نزيد بقولنا السابق عن نصرانيَّة غسان أَنهم كانوا مستقيمي الرأي بعيدين عن البدع التي انتشرت في القرون السابقة للهجرة . كلَّا بل نعرف انَّ البدعة اليعقوبيَّة تمكنت فيهم ونكبت بكثيرين منهم عن جادَّة الحق . كما روى الامر كتبة ذلك العهد من يونان وسريان . وعليهِ لا صحَّة لقول الكاتب البغدادي في حقّنا في المجلَّة المصريَّة « ان حضرته (يريد ضعفنا) اذا اراد ان يزكّي نصرانيَّة شاعر برَّأ ساحتهُ من كلّ ما يمكن ان يقع على ثياب دينهِ ادنى غبار الَّا ان ذلك كلَّهُ اذا فات على عقول بعض القرَّا فلا يفوت على عقول الادباء لانهُ لا يشفي فيهم علَّة كما لا يروى منهم غلَّة »

لله درّ الكاتب في تسطيرهِ هذه العبارات متهكماً أَفيظنّ انَّ التهكُّم يقوم مقام الحجَّة . فهيهات ان تنظم كل النصارى في سلك القديسين ولكن لا يجوز ايضاً ان تخرج قوماً من حيّز النصارى مع ما لدينا من البيّنات في نصرانيّتهم وان وُجد في سيرتهم أمور ملومة لا توافق تعاليم النصرانيَّة كالنسطوريَّة واليعقوبيَّة والاريوسيَّة

*

قد بقي ان نفند ما اتى بهِ مناظرنا لينفي النصرانيَّة عن غسان وهذا قولهُ بالحرف :

« امَّا ان فريقاً منهم كان يدين بالوثنية فهو اشهر من ان يذكر فهذا الحارث الاكبر ابن ابي شمّر الغسّاني الملقب بالاعرج وهو الذي اشتهر ملكهُ في ايام القياصرة فانهُ كان وثنياً قحاً ويتضح ذلك من انهُ اهدى سيفيهِ المعروف احدهما باسم رسوب والآخر باسم مخذم لبيت الصنم (عن الطبري ١ : ١٧٠٦) وبيت الصنم المذكور هو بيت مناة لأن غسَّان كانت تعبد هذا الصنم (عن معجم ياقوت في مادَّة مناة)

« وزد على ذلك انَّ تلبية غسَّان عند وقوفها عند صنمها كانت هذه : « لبيك ربّ غسَّان راجلها والفرسان » (عن تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٩٧) . وهذا سطيح الكاهن المشهور فانهُ كان غسَّانيًّا الَّا انهُ لم يكن نصرانياً وان كان خال نصرانيّ من اهل الحيرة . فهل بعد كلام هؤلاء الأَئمة الافاضل مندوحة للابهام والايهام »

فنجيب على الشاهد الاوَّل اي وثنيَّة الحارث ابن ابي شمّر الذي اهدى سيفيهِ لبيت الصنم انَّ نصرانيَّة الحارث ثابتة بشواهد متعددة أقدم وأصحّ وأوضح من قول

الطبري لأنَّ المؤرّخين المعاصرين له او القريبين من عهده من يونان ولاتين وسريان لا يدعون ريباً في نصرانيته. وحسبك دليلاً على قولنا انهُ هو المنعوت بالكتابات القديمة بالمُحِبّ للمسيح (اطلب الصفحة ٥٢٣). لكنَّ هؤلاء الكتبة يجعلونهُ يعقوبياً. اما شهادة الطبريّ فليس من شأنها ان تبطل أقوال من سبقهُ ولعلّهُ روى روايةً ضعيفة على علّاتها او يكون وَهِمَ باحد معابد النصارى فجعلهُ بيت صنم. وفي معجم ياقوت (٤: ٤٥٣) رواية مخالفة تجعل السيفين في بيت صنم لطيء. وان امكن الكاتب ان يثبت صحّة هذه الرواية اجبنا انَّ الحارث النصرانيّ أتى بذلك فعلاً ذميماً فنسي شرائع النصرانيّة او تجاهل بها وذلك ليس بكافٍ ليقال انهُ كان وثنياً مع صراحة القائلين بنصرانيته

ثم زاد الباحث «انَّ غسان كانت تعبد مناة» واستند في قولهِ الى معجم ياقوت. فجوابنا على هذا الاعتراض سهل فنقول انَّ غسان في ايّام وثنيتها عبدت مناة لكنَّها لما تنصّرت نبذت عبادته. وقد بيّنّا انَّ تنصّرها قد تمَّ منذ القرن الرابع للمسيح

اما الحجّة الثالثة على وثنية غسان اي وقوفها عند صنمها قائلة: «لبيك ربَّ غسان راجلها والفرسان» فيمكن دحضها كما دحضنا الحجّة الثانية اعني بنسبة هذا القول الى عهد وثنيتها قبل تنصّرها. ولكن يجوز القول ايضاً انَّ هذا النصّ ليس فيهِ أثر للتوثّن اذ لا يذكر هنا الصنم [illegible] لغسان وانما يقول فقط «وكانت تلبية غسان لبيك ربَّ غسان راجلها و[illegible]ن» وهو كلام صحيح ودعاء صالح الى إله الحقّ. فقول الكاتب «عند وقوفها عند صنمها» زيادة منهُ

بقي ذكر مناظرنا سطيح الكاهن الذي قال عنهُ انهُ كان غسانيًا ولم يكن نصرانيًا ونحن لا نشاحنهُ بذلك وكلّ عاقل يعلم ما ورد من الخرافات في قصّة سطيح في كتب العرب. فكان الاولى بصاحب الجدال ألّا يحتجّ بحجج ضعيفة كهذه سامحهُ الله

ثمَّ انتقل مناظرنا الى بيان امر آخر فقال عن يهوديّة غسان:

«امّا انَّ اليهودية كانت في غسان فهذا بيّن من دين السموأل فانهُ ليس من كاتب او مؤرّخ او لغويّ ذكر دين السموأل الّا وقال عنهُ انهُ يهودي المذهب... لا بل ان حضرة الأب نفسهُ يقول بذلك في مجاني الأدب (٣: ٢١٢) في الحاشية فكيف انثنى اليوم عن رأيه – هذا وان اليعقوبيّ يقول بصريح العبارة (ص ٢٩٨): وتهوّد قوم من غسان»

هذه حجج جناب المناظر في اثبات اليهوديّة في غسان فنقول اننا لم ننكر ان كتبة

العرب جعلوا السموأل يهوديًا بدليل ما اثبتناه نحن ايضًا في مجاني الادب وفي شعراء النصرانيَّة فان كنَّا اثنينا عن رأينا فذلك لأسباب اوضحناها في القسم الاوَّل من مقالتنا والعاقل اذا وجد داعيًا لتغيير رأيهِ غيَّرهُ وليس في ذلك ما يشينهُ . ولا حاجة لتكرار ما قلناهُ سابقًا فليراجع

بقيت الشهادة التي نقلها مناظرنا من تاريخ اليعقوبي (ص ٢٩٩) ان قومًا من غسان تهوَّدوا

نجيب أوَّلًا انَّ اليعقوبيّ وحدهُ نسب اليهوديَّة الى قوم من بني غسان اما بقيَّة الكتبة فانهم يحصرون اليهودية في قبائل معروفة كقريظة ونضير واهل خيبر وبعض كنانة وبعض كندة والحرث بن كعب

وان اعترض المعترض بالسموأل فقال: أليس السموأل من غسان والكتبة يجعلونهُ يهوديًا . أجبنا ان نسبة السموأل الى غسَّان من الامور المشبوه بها ودونك قول كاتب يُعدُّ قولهُ حجَّة في هذا الباب ألا وهو ابو الفرج الاصبهانيّ صاحب الاغاني قال في نسب السموأل (١٩ : ٩٨) :

هو السموأل بن غريض بن حياء . ذكر ذلك ابو خليفة عن محمَّد بن سلام والسكري عن الطوسي وابن حبيب انَّ الناس يدرجون غريضًا من النسب وينسبونهُ الى عاديا جدّه . وقال عمرو بن شبَّة هو السموأل بن عاديا ولم يذكر غريضًا . وحكى عبدالله ابن ابي اسعد عن دارم بن عقال وهو من ولد السموأل انَّ عاديا (هو) بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء . وهذا عندي محال لأنَّ الأعشى ادرك شريح بن السموأل وادرك الاسلام وعمرو مزيقيا قديم لا يجوز ان يكون بينهُ وبين السموأل ثلاثة آباء ولا عشرة الّا اكثر والله اعلم . وقد قيل انَّ أُمَّهُ كانت من غسَّان . . وقيل بل هو من ولد الكاهن بن هارون بن عمران (اعني من قريظة ونضير . راجع ايضًا تاريخ ابن خلدون)

فترى ما في هذهِ الاقوال من التضارب والتباين . وكأني بالمعترض يردف قولهُ بقولهِ : « فمالك اذن لا تسلّم بيهودية السموأل » نجيب أنَّنا لا نسلّم بيهوديتهِ ان كان من غسان لمَّا اذا قيل كما ورد في نص كتاب الاغاني انهُ كان من غير قبائل كقريظة والنضير فانَّنا لا نأبى ان نسلّم بذلك . وان قال المعترض: فكيف يصحّ اذن قول السموأل عن المسيح :

وفي آخر الأزمان جاء مسيحنا فاهدى بني الدنيا سلامَ التكامُلِ

ان كان السموأل يهوديًا ؟ أجبنا انهُ لمحتمل ان يكون وجد رجلان شاعران باسم

السموأل احدهما من غسان وكان نصرانيًا فيصح نسبة البيت له . والآخر يهودي من بني قريظة او يهود غيرهم (١ ان نسبت اليهِ القصيدة كان بيتها الاخير مصنوعًا

نجيب ثانيًا انَّ اكتبة العرب (الّا اليعقوبيَّ) ليس فقط لم يذكروا تهوُّد غسان بل ذكروا عنهم انَّهم رفضوا اليهودية . قال صاحب الفضل شكري افندي الالوسي البغداديّ في كتاب بلوغ الارب في احوال العرب (٢ : ٢٦٢) انَّ تبع الاصغر الحميريّ لمَّا تهوَّد دعا الى اليهودية غسان فأبوا معتذرين بدخولهم الى النصرانيَّة قال: « وسار (تُبَّع) الى الشام وملوكها غسَّان فاعطتهُ القادة واعتذروا من دخولهم الى النصرانيَّة »

نجيب ثالثًا انهُ لمحتمل ايضًا انَّ اليعقوبيَّ نسب اليهودية الى قوم من غسَّان لانتشار بعض الشيع النصرانيَّة بينهم . وهذه الشيع كالابيونيين (ébionites) والنزاريين (nazaréens) وغيرها كانت من بقايا اليهود الاولين الذين تنصَّروا وحفظوا شيئًا من نواميس موسى وهم الذين خرجوا من أورشليم قبل حصارها في عهد طيطس فعبروا الاردنَّ وانتشروا في بلاد العرب وعُرفوا باليهود المتنصرين (judéo-chrétiens)

ومجمل الكلام انَّنا لا نسلّم بيهودية غسَّان بحصر المعنى وكذلك نقول عن السموأل انهُ ان صحَّت يهوديتهُ لم يكن من غسَّان فيكون البيت الذي رُوي لهُ عن المسيح مصنوع . ما لم يُقَل انهُ كان من الشيع التي ذكرناها في جوابنا الاخير فقيل لهُ يهوديّ بالمعنى المزبور وحينئذٍ تصحُّ نسبة البيت اليهِ مع القول بانهُ من غسان

هذا ما سطَّرنا على جناح السرعة بعد تغيُّبنا ايامًا من بيروت . وكان بودّنا ان نتابع البحث فننتقد بقيَّة ما كتبهُ الناظر البغداديّ في المجلَّة المصريَّة ولعلَّنا نعود الى تمحيص أقوالهِ وبيان ما ورد فيها من الآراء الضعيفة . وكفى اليوم بهذه المقالة الوجيزة شاهدًا على شططهِ

رحلة ابرهيم الحكيم الحلبي الى مصر

عني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

كلٌّ يعلم ما اظهرهُ الروم الملكيُّون الكاثوليك من الشهامة في اواسط القرن الثامن عشرة للدفاع عن ايمانهم بازاء البطريرك سلفستروس القبرصي . ولمَّا عاين هذا ثباتهم في الدين الكاثوليكي

(١ ويؤيد ذلك ما ورد في نسخة حضرة الأب انستاس بأن القصيدة للسموأل من بني قريظة

ارسل اليهم اسقفاً يُدعى فيلمون اتّسم الكتبة في وصف اخلاقهِ السيئة. فلمّا جاء الى حلب سنة ١٧٥٣ ابى اهلها الخضوع لهُ بدلًا من اسقفهم القانوني مكسيموس الحكيم فاضطهد فيلمون الكاثوليك حتى اضطرَّ كثيرين منهم ان يخرجوا من وطنهم. ومن جملتهم ابراهيم الحكيم احد اقارب الاسقف مكسيموس فهرب هذا الى مصر ولمّا بلغها كتب هذه الرسالة الى احد اصحابهِ في حلب وهي طويلة اقتصرنا على ذكر معظمها. وقد وجدنا الاصل في بيت احد وجوه البلدة بشاره افندي بارد فنمحض لهُ الشكر لترخيصهِ لنا بنشر هذا الاثر. اما ابراهيم الحكيم فلا نعلم شيئاً من امرهِ الّا ما يُستخلَص من اخبارهِ في هذه الرسالة التي تدلّ على اقتدارهِ في الانشاء وبراعتهِ في الكتابة نظماً ونثراً

ان ارقّ وألطف ما انشأت ووشّت ألسنُ اليراع من تحيّة · وسلام وآداب واحترام من فرائـد غُرَر البيان من نحور الاذهان الذكية · وأبهى وأعجب ما تُرقَمُ بهِ وجنات الطروس من ابكار خرائد الاذهـان بعقود جمان الافكار من عبارة معنويّة · وازهى واغرب ما تُعلَّم بهِ زكيّات النفوس من اسرار ضمائر الجنان من برود معـاني النثار من صناعات عقليّة · وأحلى وأعذب ما تعتّقت وصفت العقار والصّهباء ودارت الكؤوس على الندمان سرًّا وجهرًا · واشجى واطرب ما تغرّدت وشدَت اطيار الربى وطارت على رؤوس ذرى الاغصان كرًّا وفرًّا . . . :

سلامٌ يعمُّ الكونَ من عرفهِ الاعطرْ وقد ضوَّع الأحيا شذا مسكهِ الاذفرْ
وزاد على الندّ الذكيّ عبيرُهُ وفاق على البخور والطيب والعنبرْ

ذو المجد والجلال · والعزّ والسعد والاقبال · فخر الحذاق الافاضل المحققين · بحر آفاق الفضائل المدققين · شمس الملاحة الساطعة الاشراق في الليل الحافل · قسّ الفصاحة الذي فاق على سحبان وائل · وقد تقدّم بالبراعة والبلاغة على الاواخر والاوائل · البحر المتدفق الزاخر · الذي ما لهُ اوّل ولا آخر :

فرد الانام وواحد الاوقاتِ خير الانام وامجد الساداتِ
السيد الندب الذي فاق الورى علماً وحزماً مع كمالِ الذاتِ
لله درُّك ما جمعتَ مناقباً حسباً وذاتاً مع سموّ صفاتِ
فكأنما جُبلت طباعك كلها من هذه الاوصاف والحسناتِ
قد حزتَ من مولاك خير كرامةٍ فاسلمْ بها مستنعم الفرحاتِ
واسلمْ ودمْ متمتعاً بمسرةٍ تنجو من الاخطار والآفاتِ

أعني بهِ اكمل الخلّان وأجمل الاخوان · انسان عين الزمان · الذي نال من مولاه أسنى المواهب واتّبع بالله أشرف المذاهب · وارتفع فيهِ على كلّ خلّ وصاحب · فوفي

لي عهدهُ دون سائر الرفاق والاخوان. وصفى لي ودّهُ مع كدر الزمان وشفى قلبي من وحشة الهجران. وازال كربي بالاحسان دون امتنان. ولهذا سكنتُ الى وفائهِ فالقيت عندهُ عصا التسيار. وعقدتُ على اخائهِ خنصر الاختيار بعد الاختبار. وصرفتُ الى ولائهِ ازمّة الانقياد بعد الانتقاد. وجعلتهُ بعد الله العماد وعليهِ الاعتماد

جعلتكَ نصرتي في كلّ شدَّهْ ... وبعد الله في الضيقات عُمدَهْ
ورُمتُكَ لي مدى الأيام حسبي ... وقلت كفاني هذا الخلّ وحدهْ
وكنتُ اظنّ ان تبقى زمانًا ... وان تعطي لنا الايامُ مُدَّهْ
وما خلتُ الفراق يكفّ عني ... لقاكَ وارضى فيها لن أودَّهْ
ويرميني غريبًا في بلادٍ ... أرى فيها بيومي الف شدَّهْ

فكم اقتطفتُ من أثمار مجاني ادابكم ما هو أشهى من العطر وأزهى من النجوم الزهر. وكم اغترفتُ من تيّار لماني خطابكم ما يصلح فساد الفكر ويعلي الذكر. وطالما اعتلقتُ بشوارد جواهر من جياد تلك القصائد. والتقطتُ من فرائد نوادر اجياد تلك الفرائد. حتى وردت هذه الموارد وتنزهت بنظم هذه النشائد. التي هي من ابهى العقود والقلائد

يا فريدًا علا على كلّ ندّ ... وشبيهٍ قد فاقَ فوق السحابِ
قد ملكتَ الكمال جسمًا وطبعًا ... واتخذت الجمال خير نقابِ
فاسلمْ وأسلمْ ودم وكن في امانٍ ... من خطوب الزمان والاحقابِ
ما تغنّت بلابل الدوح حبًا ... في زهى الروض من صفاء السحابِ

ألا اني كنت اظنّ ان [illegible]يام تدوم. وطير الفراق على رؤوس الانام قلّما يحوم. حتى ضربتنا ايدي سبا [illegible] بنا كأس الفراق المرّ المذاق واصعب من السمّ الذعاق. وتشتتنا في الآفاق وحُرِمنا طيب ذاك التلاق المحكم الوثاق . . . ولكن بينما انا مشغول بالوساوس الفكريّة. ومنحول بالدسائس الوهميّة. متبلبل الاحوال. مقطوع الآمال. لا ادري اليمين من الشمال. اذ بزغت مطالع الجمال من شموس المودّة السنية. وأشرقت لوامع الوصال من طروس المحبّة الشهيّة. فرمقتُها رمقة ملهوف. ولثمتها لثمة مشغوف. وفضضت ختام بكارتها. وتحليت بتمام بهجتها ونضارتها. والتقطت من ساحة رياضها أزهار الدرّ المصون. واقتطفت من دوحة غياضها اثمار سرّ الفنون. واجتنيت من مجاني اسرارها ما انا بهِ أحرى. واستجليت معاني ابتكارها حين وجدتها بكرًا

رعاكَ الله ما هذي المعاني م اللواتي تضمّنت غرر البيانِ

لقد احكيتها نظماً ونثراً كنظم الدرّ بين البهرمان
سبائك عسجدٍ ام سلكُ درّ أُنيط على الصدور من الجمان
فكم لكمُ عليّ بذاكَ فضلٌ وكم فيهِ رفعتم خفض شاني
لقد اكثرتمُ الافضال حتى غدا من شكرها يعيا لساني
وقد جُدتم بلا شحّ علينا بما لم يحظَ ادناه بناني
وقد اوقرتمُ ظهري بحمل غدا عن حملهِ الرئبال عاني
فاشكر فضلكم عنهُ وأُثني جزيل عناكمُ في ذي المعاني
لقد حزتم خلالاً لم يحزها ولا من قد حوى قصب الرهان
وقد فزتم بمجدٍ واعتلاءٍ وفضلٍ فاقَ متن النيّران
فدمْ وآسلم بعون الله وابقى مدى الايّام مع طول الزمانِ

وقد ارتشفتُ من معاني رموزها ما يروي القلوب ويزكّي الحواس . واغترفت من تيار كنوزها ما يغني عن ملء الجيوب والاكياس . ولمّا كشفت ما بها استتر من الاسرار والمعاني الابكار والنظم والنثار . فاذا هي التيّـار والبحر الذي ليس لهُ قرار والفيض المدرار الكثير الانهار . وقلت شعراً :

أشذورُ تبرٍ مع طروس عاجِ ام نظم درّ في قبا ديباجِ
ام ذي عقود جواهر نيطت على بيض النحور ومائل الاوداجِ
او روضةٍ قد اينعت ازهارها فحكت نجوماً في ظلام داجي
ام ذي معانٍ نظّمت وتلطفت حتى غدت كجواهر في تاجِ
يا ايها الحبر الذي تحجت لنا بطروسه الآداب خير نتاجِ
امنن ولا تقطع دواعي نعمكم عني لاني لم ازل بكَ راجي
واكثر علينا ذا السخاء لأنهُ يكسو العقول بنورهِ الوهّاجِ
لا زلتَ موضوع السماحة والسخا تأتيكَ افواجاً على افواجِ
بل لا برحت على المدى متراقياً فوق الثريّا في ذرى الابراجِ
فأسلم ودم متمتعاً بسلامةٍ .ومسرّةٍ من كلّ خيرٍ ناجي

وقد اذكرني طيب انفاسها . وعذوبة جناسيا . بانفاس أُولئك القوم الأُدباء . ورقّة طباع اهالي الشهباء . وحسن مناخها وقراها . ولطف نسيمها وهواها . وجمال تلك البلدة التي هي رونق الانام . والشامة التي في وجنة بلاد الشام . جنّة البلاد ووجبة ارض الميعاد . بلاد بها نيطت عليَّ تمائمي . ومبطت عني كمائمي . وناهيك من حب الوطن . ومقرّ الاهل والسكن :

قلبي يذوب الى المنازل والحما ولريّ ذاك الحي اضناني الظما

ولقد حنت لهُ حنين الالف مذ عنهُ نأى إلفٌ وصدَّ عن الحِما
اسفي على الزمن الذي فيهِ بدا تلفي بهِ كيف انقضى وتصرَّما
يا حبذا ذاك الزمان وحبذا الاوطان والسكان كم لي فيهما
من كل ندبٍ لوذعيٍ اروعيٍ م ألمعيّ بالبلاغة قد سما
قومٌ بكل اللسن عن اوصافهم وغدا جم من الفصاحة ابكما
فارقتهم غصباً عليَّ ولم ازل لفراقهم متندماً متألما
ياساكنين الحي هل لا ترحموا فترحموني للديار تكرُّما
وافوز في لقياكمُ متمتعاً بنعيم ارض بحرُ نعماها طمى
دارٌ غدت اعجوبة الدنيا وقد أبت أن تحاكي بلدةً تحت السما
سقياكِ يا حلب الفريدة انكِ حزتِ مقاماً في البلاد مكرَّما
حتى غدوتِ شامة في وجنة الدنيا تزيني ثغرها والمبسما
فلذاكَ لا اختار غيرك لو غدت ارضوها تبراً وماؤها بلسما
خذ يانسيم الصبح عرفاً طيباً مني اليها قاصداً وسلّما
نادي بها دار المحبة انعمي وعمي صباحاً ثمَّ زيدي انعما

وها انا من شوق الديار. اتقلَّب على جمر النار. ومن ذاكَ القضا. يثقل قلبي لنار الغضا. وتنسفح مني الدموع رحضاً. وعندي من الوجد والغرام. ما يكلُّ عن تدوينهِ بيان الاقلام. ومن الصعداء والزفير ما لو مرَّ بريح لعاد سموماً. ولو صافح الروض الوسيم لصار هشيماً. غير اني لم ازل استشفي بكل نسيم هبَّ من ذلك الجناب. واستسقي لسكانهُ وطف المزن والسحاب. لا برحت اهاليها دائمة العزّ والمجد والجلال. وملازمة الحظ . . . عد والإقبال. ما غرَّدت الطيور والحمام على قدود منابر الاغصان. وما افترَّت ثغور ال... عن ورود وازهار الوديان

أمَّا بعد فابدي لجنابكم جزيل الشكر الوافر لجودكم والاحسان . ما لم يقدر يحويهِ الجنان. واهدي اليكم جزيل الحمد المتكاثر على فضلكم والامتنان.. ما ليس يقدر يُحصيه الانسان. لاني ما كنت أؤمل بعد ما فرط مني من ذاكَ العتاب . ان تتفضلوا عليَّ بعدهُ بالجواب. او مكاتبة وخطاب. إلَّا ان لطف أخلاقكم ما عاملتني بالترك والهجران . بل أبدت لي صفو الجنان واغضضتم الطرف والعيان عن الذنب والنقصان . شرَّفتموني بشرفة رابعة . لاولئك الثلثة تابعة . وهي كالحديقة اليانعة التي لانواع الأزهار جامعة . وكالقلادة اللامعة الحاوية الورد والجواهر الساطعة . او كالسماء السابعة المزيَّنة بالكواكب اللامعة . فرمقتها بعينٍ دامعة ومهجة من الوجد

هامعه . وذلك لفرط ما عراني من الخوف والوجل والخزي والخجل . لما فرط مني بطريق العجل . فلذلك قلت قول مرتجل . شعر :

لقد وافت الينا من حماكم جليل الوكة دون انقضاض
نقمتُ لها على الاقدام شوقًا لما تبديه من حسن التراضي
ولمَّا افترَّ مبسمها وفاهت باهداء السلام بلا انقباض
فرحت مقبِّل الارضين شكرًا لحسن سماحكم عن كل ماضي
فتلكم يحقُّ ان يسمَّى مسيحيًّا وذاك بلا اعتراض
وممدوحًا ومحمود الثنا من جميع الناس في كلِّ الاراضي

(لهُ تابع)

الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

فمن هؤلاء الادباء المسلمين اسمعيل بن الحسين جمان لهُ ديوان صغير الحجم في احد مجاميع لندن المخطوطة (Supplement of the Catal. of the Arabic Mss, n° 1323, 3°) يحتوي على قصائد ومراسلات ومقالات شتَّى كتبها بين السنة ١٢٢٧ وسنة وفاته ١٢٥٠ (١٨١٢—١٨٣٥)

ومنهم الشيخ عبدالله الحلبي كان شاعر زمانهِ في الشام لهُ ديوان مفقود وقد وقفنا لهُ على بعض فقرات في ديوان نيقولا الترك منها قولهُ في جملة قصيدة يذكر تآليف الترك :

أتت بسحر بيانٍ ابانَ فضلًا جزيلا
عن فضل ذي الفضل ينبي عقدًا بديعًا جميلا
صحيح منشاهُ يروي عن الصحاح نقولا
يا درَّ درٍّ قوافٍ ترتّلت ترتيلا
قسّ الفصاحة فيهِ سحبانُ اضحى ذهولا
لم يترك الاوَّلون الى الاواخر قيلا
عنهُ التواريخُ تُروى براعةً وشمولا
قد سار ذكرًا شهيرًا بين الانام جليلا
فهِ يومَ اتانا منهُ الثنا مستطيلا
وطال ما كان سمعي سماعها مستبيلا
حتَّى تشنَّف منها وهام فيها غلولا

وجاء في الديوان عينهِ ذكر شاعر آخر وهو الشيخ صالح نائب طرشيحا روى لهُ قصائد منها قولهُ يمدح آل شهاب والشيخ بشير جنبلاط ويذكر قرية المختارة قال :

واصبو الى لبنان وهي مواطنٌ عرفتُ بها ظلًّا هناك ظليلا
بآل شهابٍ كمَّل الله عزَّها وشرَّف منها اربُعًا وطلولا
وبالجنبلاطيّ البشير تشامخت جبالٌ بها تعلو المجرَّةَ طولا
فتًى ما لهُ في الدهر ثانٍ وانهُ ابو قاسمٍ حاز الكمال جميلا
همامٌ اذا ما الحرب شدَّت وثاقها ترى اسدًا للمرهفاتِ سلولا
يصولُ بقلبٍ كالجبال ثباتهُ فيوقع في قلب العدوّ خمولا
يجودُ وفيضُ الجود يمدُّ جودهُ اذا جرَّ من بحر المكارم نيلا
بهِ شرُفت مختارة العزّ في الورى وباروكها للفضل جاء دخيلا
تُذكّرنا جنّاتِ عدنٍ قصورُها وانهارها شيئًا تراهُ جليلا
فلا مثلها عيني رأت ذات بهجةٍ تكلَّلها من صيّب السما اكليلا
وبابن عليّ عظَّم الله قدرها واحيا لها اسمًا في البلاد فضيلا

وقال يمدح نقولا الترك :

هاتِ زدني من ذكر وصف نقولا ثمَّ أورد ادلَّةً ونقولا
حيثُ جئنا لنشهر الفضل منهُ وبما نال ينبغي ان نقولا
عيسويٌّ حوى اللطافة حتَّى صار للطف حجَّةً ودليلا
شاعر العصر اوحد الدهر حقًّا ما وجدنا لمثل ذاك مثيلا
هو يُدعى بالترك فاترك سواهُ من بني العرب واتخذهُ خليلا

واشتهر في الجزائر محمَّد أبو راس الناصري من معسكرة وُلد سنة ١٧٥١ ونبغ في الفقه ورحل الى تونس ومصر والحجاز وتوفي سنة ١٨٢٣ ولهُ قصيدة في فتح وهران على يد الباي محمَّد بن عثمان سنة ١٧٩٢ وقد شرحها في كتاب دعاهُ عجائب الاسفار. ولهُ وصف لجزيرة جربة طُبع في تونس سنة ١٨٨٤

هذا ما وقفنا عليهِ من تاريخ شعراء المسلمين في الثلث الأوَّل من القرن التاسع عشر. ونُلحق بهؤلاء بعض الذين اشتهروا باللغة والادب فنهم الشيخ الشرقاوي الذي سبق لنا ذكرهُ (ص ٢٤٤) والشيخ القلماوي مصطفى بن محمَّد الشافعي لهُ كتاب مشاهد الصفا في المدفونين بمصر من آل المصطفى. والشيخ محمَّد ولهُ منظومة في آداب البحث ومنظومة في المنطق وديوان شعر دينيّ سمَّاهُ اتحاف الناظرين في

١) اطلب تاريخ الجبرتي (٤: ٣٢٧)

مدح سيّد المرسلين (١ . وُلد سنة ١١٥٨ وتوفي سنة ١٢٣٠ (١٧٤٥ — ١٨١٥)

ومنهم الشيخ محمّد الحفني المعروف بالمهدي وُلد من والدين قبطيين في مصر سنة ١٧٣٧ وكان اسمهُ هبة الله ثمَّ أسلم وهو صغير دون البلوغ وتقدَّم في المناصب وألقى الدروس في الأزهر ورافق طوسون باشا في حرب الوهابيين وصارت اليهِ رتبة شيخ الاسلام سنة ١٢٢٧ هـ (١٨١٢) وتوفي سنة ١٢٣٠ (١٨١٥ م). لهُ كتاب روايات على شكل الف ليلة وليلة دعاهُ تحفة المستيقظ والآنس في نزهة المستيم الناعس. وخدم البعثة الفرنسويَّة العلميَّة لمَّا قدمت مصر مع نابوليون وذكرهُ بالثناء المستشرق مرسال (١

ومنهم الشيخ محمّد الدسوقيّ وُلد في دسوق من قرى مصر ودرس علوم اللغة والحكمة والهيئة والهندسة وفنّ التوقيت. قال الجبرتي (٤ : ٢٣١) « لهُ تآليف واضحة العبارة سهلة المأخذ ملتزمة بتوضيح المشكل » وعدَّد تآليفهُ التي معظمها في العلوم البيانيَّة والفقهيَّة. توفي سنة ١٢٣٠ (١٨١٥ م)

واشتهر في الموصل من الأدباء الشيخ ياسين ابن خير الله الخطيب العُمَريّ لهُ تواريخ مخطوطة في خزائن كتب لندن وبرلين كالدرّ المكنون في مآثر الماضية من القرون وهو تاريخ واسع للاسلام بلغهُ الى السنة ١٢٣٦ (١٨٢١ م) وافاض خصوصاً في أمور الموصل (Brit. Museum. n° 1263) ولهُ منية الادباء في تاريخ الحدباء (Ibid. n° 1265) وكتاب عنوان الاعيان في ملوك الزمان (Berlin, n° 9484) وجرى ابنهُ عليّ بن ياسين على آثارهِ فكتب نحو السنة ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨ م) روضة الاخبار في ذكر افراد الاخيار وهو مختصر تاريخ العالم والدول الاسلامية. وذكر في المقالة الثامنة ولاة بغداد من حسن باشا سنة ١٠٠٦ الى سليمان باشا ١٢٢٣ ولهُ كذلك فصل في ادباء الموصل وشعرائها (Brit., Mus. n° 1266).

وعُرف ايضاً الشيخ ابو الفوز محمّد امين السويدي صاحب كتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب اختصرهُ عن القلقشندي نحو السنة ١٢٢٩ (١٨١٤) والكتاب قد طُبع على الحجر في بمباي سنة ١٢٩٤

١) اطلب الجبرتي (٤ : ٢٢٣) وكتاب الاداب العربيَّة لهوارت (Cl. Huart: *Littérature arabe*, 417)

✡

وان انتقلنا الآن الى ذكر النصارى الذين ابقوا لنا من قرائحهم الوقّادة ثمارًا جنيَّة بالنظم والنثر لوجدنا قومًا منهم زانوا بآثارهم جيد الآداب واستحقوا شكر السلف مع قلّة ما كان لديهم في ذلك الوقت من الوسائل للترقّي في العلوم البيانيَّة

واوّل من نذكر منهم رجل عصره الذي ترجمناه سابقًا في المشرق (٣: ٩–٢٢) وهو ميخائيل البحريّ الشاعر الروميّ الملكيّ الحمصي الاصل. كان متفننًا بالآداب العربيَّة وينظم الشعر الرائق كما ترى في الامثلة التي اثبتناها عنهُ في سيرتهِ. وقد شهد لهُ ادباء عصرهِ بجود القريحة. قال الشيخ احمد البربير يمدحهُ:

رعى الله حمصًا اذ صبت نحوَ مَنْ لهُ ... بيانُ معانٍ في البديع من الشعرِ
بليغٌ غدا كالبحرِ والنظمُ درُّهُ ... وهل يُستفادُ الدرُّ الّا من البحرِ

ازهر ميخائيل البحريّ في اواخر القرن الثامن عشر وكنَّا روينا في المشرق (٣: ١٢) عن بعض الرواة انهُ ادرك القرن التاسع عشر ثمَّ وجدنا في ديوان الشاعر المجيد بطرس كرامة (ص ١٠٤) تاريخًا لوفاة المذكور في سنة ١٧٩٩ قالهُ نظمًا:

لكِ الرحمات يا لحدًا ثواهُ ... بديعٌ فضلهُ سامي الارائكْ
ويا لهفي على من فيك امسى ... ويا اسفي لذلك في ثرائكْ
حويتَ كوكبَ البحريّ علمًا ... فيا عجبي لبحرٍ في خبائكْ
ولمَّا ان ثوى نودي اليهِ ... هلمّ الى سرورٍ في علائكْ
الملكوت أرّخ ناطَ فوزًا ... بميخائيل تبتهج الملائكْ (١٧٩٩)

ولميخائيل البحريّ ذرّية كريمة جرت على آثارهِ نخصُّ منهم بالذكر ابنهُ عبُّودًا او عبدالله البحري الذي ذكرنا بعض تفاصيل حياتهِ وتقلُّبهُ في المناصب العاليـة عند ولاة الشام ولدى امراء مصر وكان رئيس قلم الانشاء عندهم لدينا من آثارهِ عدَّة رسائل دوليَّة واهليَّة وكان بلغ النهاية في حسن الخطّ. وفي عبُّود البحريّ قال الترك في موشَّحهِ الذي كتبهُ سنة ١٨٠٩ يمدح بعض اصحابهِ في دمشق:

كم تباهت دُرَرُ البحري على ... كل ذي نظمٍ بديعٍ ونثارْ
وشدتْ من فوق أعلى الصُّحْف لا ... يُنبت الدرَّ الصفي الّا البحارْ
زُمَرُ الكتَّاب طرًّا والملا ... من أُولي الألبابِ توليهِ الوقارْ
كم تراهُ جاذبًا ان رَقَما ... معدنَ الارواحِ كالمَغنَبطسِ
بل وكم يسبي عقولًا حين ما ... يُظهرُ الآيات فوقُ الطرسِ

وممَّن مدحوا عبُّود من الشعراء سليمان صوله قال فيه :

مولًى أبي الفضل الّا ان يلازمهُ فلم يقمْ بمكانٍ فيهِ لم يَقُمِ
له منهُ ملاكٌ يرتقي فرسًا وكوكبٌ ناطقٌ يسعى على قدمِ
لهُ يدٌ تخجل الابحار بالكرم الـزخّار والذابل الخطّار بالقلمِ
اضحى لدائرة المعروف والكرم الموفور قُطبَ علًا لولاهُ لم تدُمِ
اهديكَ يا خلَفَ البحريّ عاتقةً لعاتقِ المجدِ تُهدي جوهر الحِكَمِ
اذا قبلتَ بها كان القبولُ لها اعلى واغلى من الياقوت في القيمِ

وكانت وفاة عبُّود سنة ١٨٤٣ فرثاهُ المعلّم بطرس كرامه بقصيدةٍ طويلةٍ قال فيها :

يا للمنيَّة قد جارت وقد غدرتْ ببدرِ فضلٍ لهُ الآداب هالاتُ
مولى البراعة عبدالله مَن فُقِدت لفقدهِ وانقضت تلكَ البراعاتُ
يا طالما سبكتْ اقلامهُ دررًا تقلّدت بلآليها الرسالاتُ
وكم على وجنة القرطاس في يدهِ تفاخرت ببديع الخط لاماتُ
ما لاعبتْ قلماً يوماً اناملهُ الّا نمتْ مشرفيّات صقيلاتُ
لمّا اتى الناسَ ناعيهِ بكت اسفًا من البراعة دالاتٌ وبيماتُ

وكذلك اشتهر اخوهُ حنا البحريّ فمدحهُ الشاعر المذكور غير مرَّةٍ (ص ٢٨٧ و٢٨٩ و٣٠٢) كما مدح اخاهما جرمانوس فمن قولهِ في هذه الاسرة وكان ميخائيل البحريّ خالًا لبطرس كرامة (ص ٢٨٨)

بنو البحر الّا انّهم دررُ العُلى واهلُ الوفا لكنَّ دأبهم البرُّ
وما منهمُ الّا نبيهٌ مهذَّبٌ نراهُ بديوان اليراع هو الصدرُ
بجرمانس ساد الحسابُ واصبحتْ دفاترهُ الزهراء يشتهها الزهرُ
يريك اذا هزَّت يراعًا بنانهُ عقودَ جماناتٍ معادنها الحبرُ
وفاخرَ يوحنًّا بانشائهِ الصبا فرقَّت لالفاظٍ بها انعقدَ الدرُّ
تودُّ ذوءابات الحسان اذا انتقى ليكتب سطرًا انّما ذلك السطرُ
هما فرقدا اوج البراعة والنُّهى وابناءُ بيتٍ مهدُهُ النظم والنثرُ

وللمعلّم بطرس مدائح أُخرى في بني البحري منها تاريخهُ لوفاة انداروس البحري سنة ١٨١٦ (ص ٢٦١) ختمهُ بهذا البيت :

تلقَّاهُ الاله يقولُ أرّخْ رِثِ المُلْك المعدَّ لذي اليمينِ

ومنها تاريخهُ لوفاة عبدالله البحريّ ابن اخي ميخائيل سنة ١٨١٩ (ص ٢٦١) قال في ختامهِ :

برٌّ بغفران الاله مؤرّخٌ ونُعمٌ في روضة الاملاكِ

وتاريخ وفاة ابرهيم البحري (سنة ١٨٢٢) المختوم بهذا البيت (ص ٢٦٢):

وفي الملكوت حازَ لدى الهِ   مع الأبرار أرّخ خيرَ روضه

وكان ميخائيل الصبّاغ الذي ذكرناهُ في جملة مؤرّخي زمانهِ شاعرًا وسطًا استحبَّ الاوربيّون شعرهُ العربيَّ فنقلوهُ الى الفرنسيَّة فمن ذلك ما مدح بهِ البابا بيوس السابع لمّا قدم فرنسة لتتويج نابوليون قال:

دهشتْ لرؤيةِ وجهكَ الابصارُ   وأضتْ لرؤيةِ مجدكَ الامصارُ
هذي العروسةُ ياسليمان انجلت   في حسنها ولها الفخارُ عظامُ

ومنها في المدح:

اليوم تحمدنا الملائكُ في السما   لمّا نرى منّا العقولُ تُحارُ
سامحْ نواظرنا اذ بكَ كرّرت   نظراتها او زادها التكرارُ

ولهُ موشّح قالهُ في ميلاد ابن نابوليون الاوّل سنة ١٨١١ اوّلهُ:

هلّلوا في الارض يا كلَّ الامم   واهتفوا فيها بألحان النغمْ

ومنها:

ايها القيصرُ بُلّغتَ المنى   كانّنا بالبكر نهديكَ الهنا
انتَ منّا مستحقٌّ لثنا   قد حبانا ربّنا هذه النعمْ

ولهُ غير ذلك ممّا لا نتعرّض لذكرهِ والركاكة ظاهرة في معظم هذه القصائد والموشّحات ما يدلُّ على انَّ صاحبها لم يُحسن علم العروض وانّما تعاطى النظم استعطافًا لبعض الذوات وحظوةً برضى العلماء المستشرقين (لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

LOUIS BREHIER: **L'Eglise et l'Orient au Moyen-Age**: Les Croisades. In-12, XIII-377, *Paris*, *Lecoffre*, *G. Gabalda et C°*, 1907 (Bibl. de l'enseignement de l'histoire ecclésiastique).

الكنيسة والشرق في القرون الوسطى

هو أثر جديد من همة أصحاب الشركة المتولية نشر تآليف شتّى لتعليم التاريخ الكنسيّ. مدارهُ على ما ابدتهُ الكنيسة الرومانيّة من شارات الحبّ والانعطاف الى الشرقيين وهو موضوع لم يكتب فيه احد قبل يومنا كتابًا مستوفيًا. ومؤلف هذا التاريخ من كبار الاثريين تُغني شهرته بين العلماء عن تعريفه ومن يتصفّح تأليفهُ يقضي العجب

من وفرة ما جمعهُ لبيان قصدهِ فاتى بشواهد عديدة تنطق بهمَّة الاحبار الرومانيين نحو الشرق فتارةً كانوا يوفدون الوفود الى ملوكهِ وتارةً كانوا يعقـدون المجامع لصلاحهِ ويكتبون الكتابات والمناشير لترويج شؤونهِ. وكذلك بيَّن الولاء الذي كان يربط الشرق والغرب بتعدُّد الزوَّار الى الاماكن المقدسة. ثم ذكر الحوادث التي اشتهرت في القرن الثاني عشر لخير الشرق ثمَّ ما أرسل اليهِ من المرسلين الغيورين لانقاذه من البدع ولتوطيد الدين بين اهلهِ. ومجمل القول انَّ هذا التأليف من افضل واصدق ما كُتب الى اليوم في العلاقات والاواخي التي كانت تجمع الشرق والغرب المسيحيَّين في الاجيال المتوسطة. وقد لحظنا في الكتاب بعض اغلاط طبعيَّة خفيفة لا حاجة الى ذكرها. وكذلك تاريخ ١٣ آب ١٣١٠ (ص ٢٦) لفتح رودس ليس هو اكيدًا من حيث السنة اما اليوم فهو ١٥ آب كما ورد في تاريخ الاسبتاريين (Les Hospitaliers en Terre-Sainte et à Chypre par Delaville-Leroul, p. 278)

ل م

SYRISCHE RECHTSBUECHER herausgegeben und übersetzt von **Eduard Sachau**. I Bd, *Berlin*, *Reimer*, 1907, XXIV-224.

التآليف السريانيَّة في الحقوق الشرعيَّة

للسريان تآليف متعدّدة تحتوي القوانين الشرعيَّة التي كانوا يرجعون اليها في دعاويهم. والقسم الاكبر من هذه المصنَّفات يشتمل على قوانين الرسل والمجامع والآباء قد نشر اكثرها بالطبع في هذه السنين الاخيرة بالكلدانيَّة او بالسريانيَّة. على ان لهذه الدساتير الدينيَّة قسمًا آخر يُلحَق بها وهو يتضمَّن قوانين رومانيَّة تُنسب الى قياصرة الروم كقسطنطين الكبير وثاودوسيوس ولاون وباسيل. وهذا القسم الثـاني كان أشار اليهِ السمعاني في المكتبة الشرقيَّة ثم اقتطف منهُ شيئًا العلَّامة لند في طُرَفهِ السريانيَّة (Land: *Anecdota Syriaca*, I, 30-64) ثمَّ اكملهُ المستشرقان الالمانيَّان سـاخو (E.Sachau) وبرُنس (K. G. Bruns) فنشرا سنة ١٨٨٠ كتابًا غاية في الافادة عنوانهُ: «القوانين الدنيويَّة منقولة عن اللاتينيَّة الى الارميَّة» لكنَّ المكتبة الواتيكانيَّة قد حصلت منذ سنين قليلة على مخطوطات سريانيَّة جديدة كان أهدى قسمًا منها الى مكتبة مجمع انتشار الايمان الطيِّب الذكر السيِّد اقليميس داود السرياني ثمَّ نُقلت هـذه المخطوطات الى متحف برجيا ومنهُ الى الخزانة الواتيكانيَّة. فالمخطوط الموسوم بينهـا

بالعدد ٨١ يحتوي على ما هو أوسع وأصحّ ممّا نُشر سابقًا. فاحبَّ العلّامة ساخو ان يفيد المستشرقين بهذه الآثار الجليلة التي هي على ثلاثة اقسام القسم الاوّل يتضمّن احكام الملكين قسطنطين ولاون (ص ١ — ٤٠) فيه ٧٥ بندًا والثاني يتضمن مجموعًا آخر لأحكام الملوك قسطنطين وثاودورسيوس ولاون (٤١—١٤١) وبنوده ١٥٨ والثالث هو مجموع للملوك انفسهم جمعهُ بامر القيصر والتنيان القديس امبروسيوس اسقف ميلان (١٤٣—١٨٣) وبنوده ١٢٨. وبين هذه المجاميع الثلاثة موافقات عديدة بيّنها الموسيو ساخو وقد نقلها كلّها الى اللغة الالمانيّة وألحقها بعدّة ملحوظات مفيدة. وقد وصفنا نحن ايضًا سابقًا في المشرق ٧: ٢٧٩) مثل هذه التآليف القانونيّة التي في جملتها قوانين مدنيّة تنسب الى قسطنطين والى ثاودورسيوس ولاون. وفي نصوصها اختلافات مع السريانيّة ولعلّنا ننشرها يومًا تتمّة للفائدة

PATROLOGIA ORIENTALIS T. I. fasc. 5: LE SYNAXAIRE ÉTHIOPIEN. Le mois de Sané, texte et traduction par **I. Guidi** avec le concours de **L. Desnoyers**. *Paris, Firmin-Didot*, pp. 551-705.

السنكسار الحبشي: شهر سنا

السنكسار كما هو معلوم مجموع اخبار الشهداء والقديسين مرتبًا على مدار السنة الكنسيّة ولهُ في كلّ الطوائف المسيحيّة شأن عظيم فيُعَدّ من جملة كتبها الطقسيّة تقرأ فصولهُ في الحفلات الدينيّة ليكون المؤمنون على بصيرة من معاني العيد وسيرة صاحبه. على ان السنكسارات الشرقيّة حتى اليوم لا تزال في الغالب مخطوطة قليلة الانتشار لما يقتضيه نسخها من النفقات. وعليه قد أحسن الذين تولّوا نشر اعمال الآباء في الكنيسة الشرقيّة اذ قصدوا نشر هذه السنكسارات في لغاتها الاصليّة كما فعلوا بسنكسار الاقباط (المشرق ٨: ٩١٢). وهذا مثال آخر من نشاطهم نريد السنكسار الحبشي الذي اخذ بنشره العلّامة الايطالي الذائع الشهرة اغناطيوس غويدي. وقد وردنا منهُ قسمٌ يحتوي تراجم القديسين في شهر سنا الموافق لآخر شهر أيار الى ٢٤ حزيران. وهذا السنكسار الحبشي عزيز الوجود توفّق الاستاذ غويدي الى مراجعة ثلاث نسخ منهُ ترتقي احداها الى القرن الخامس عشر واثبت ما في هذه النسخ من الروايات والاختلافات والزيادات. والاصل الحبشي قد ضبطهُ الاستاذ ضبطًا تامًّا على مألوف عادته في ما تولّى نشرهُ الى

اليوم. وقد ساعدهُ الموسيو دي نويه احد الفرنسويين في نقلهِ الى الفرنسوية فجاء الكتاب وافياً بالمرام فنحض كلّ محبي آثار الشرق الدينية على اقتنائهِ ل. ش.

D^r P. THOMSEN. **Loca Sancta.** Verzeichnis der im 1. bis 6. Jahrhundert n. Chr. erwachnten Ortschaften Palaestinas. I, mit einer Karte. 8°, XVI-143. *Rudolf Haupt, Halle,* 1906.

الاماكن المقدسة في الستة القرون الاولى

أحرز لهُ العالم م. طومسن شهرةً بمقالتهِ في «كتاب الاعلام» للمؤرخ أسابيوس وبابحاثهِ عن الآداب الفلسطينيّة (cf. ZDPV. t.XXVI et XXIX) وها انهُ الآن اتحفنا بكتاب جديد في «الاماكن المقدسة». غير ان بعض الكتبة سبقوهُ في هذا الموضوع. منهم الكاهن ريس (Riess) الكاثوليكي فانهُ وضع سنة ١٨٧٢ معجماً دعاهُ «بجغرافية الكتاب المقدَّس» ولم يقتصر فيهِ على ما يتعلّق بالعهدين القديم والجديد لكنهُ استطرد الى امور خارجة عنهما. ثمَّ عقبهُ سنة ١٨٩٤ احد خدَمة البروتستانت ا. ثون ستارك فراجع النظر في مؤلف سلفهِ (Palästina u. Syrien von Anfang der Geschichte bis zum Siege des Islam) وزاد عليهِ ايضاحات وملحقات تختصّ بالعصور المسيحية لولا انّهُ لم يرد في عملهِ هذا اعذب المناهل واصفاها فاتى كتابهُ غير وافٍ بالمرام. فنهض في هذه الاثناء العالم طومسن وتوخّى ألّا يوسع نطاق تلك المباحث بل كلّف نفسه ان يتقصّاها وينقّب عنها بموجب اسلوب علمي. وقد استهلّ كتابهُ بلائحة التآليف التي اخذ عنها. فمن طالعها لا يتمالك من الاقرار انهُ رجل خبير في اختيار الموادّ يتتبع موضوعهُ ولا يحيد عنهُ البتَّة. وفي الجلد الاول من هذا المؤلف يجد القارئ معجماً مرتباً حسب حروف الهجاء جُمع فيهِ ما يختصّ بايّ محلّ كان من فلسطين فيكتفي المطالع بوقتٍ وجيز لاسيما اذا كانت بين يديه مكتبة حافلة بالتصانيف ليعلم على اي منهاج يسلك في درس باشرهُ وحقيقة يريد اثباتها. وقد امعن النظر مليّاً فيما يتعلّق في الاماكن التي يُرتاب بموقعها. لكنّنا نأخذ عليهِ وقوع بعض الخلل في رسم الخارطة واملنا وطيد باصلاحهِ في طبعة ثانية. وليس هذا ممّا يصدّنا عن ان نمحض المؤلف عواطف الشكر لما اودع كتابهُ من الفوائد ولما ألحق بهِ من الفهارس. واما المجلد الثاني فانهُ سيخبرنا عن أحوال اورشليم وأديرة فلسطين في الستة القرون الاولى المسيحيّة ومنذ الان نطلّ النفس بمطالعتهِ عن قرب وبتقريظهِ بدون تردّدٍ واستثناء. س. ر

كتاب ذخائر لبنان

تأليف عزتلو ابرهيم بك الاسود

طُبع في المطبعة العثمانيَّة في بعبدا (لبنان) سنة ١٩٠٦ (ص ٣٢٠)

نقلت جريدة لبنان الغرَّاء كلامنا في تاريخ عائلة الحلو مثنيةً عليه وكأنها شاءت ان يكون فاتنا مراجعة كتابٍ جليل في اخبار لبنان صنَّفهُ صاحب السعادة الوجيه الفاضل ابرهيم بك الاسود ودعاهُ ذخائر لبنان فاستلفتت اليهِ انظارنا وفيهِ ما تتمنَّاه من ازالة السقم عن تاريخ جبل لبنان. فنشكر لراقم هذه الاسطر افادته. ثمَّ نقول انَّا عرفنا هذا التأليف منذ صدورهِ واستشهدنا بهِ غير مرَّة وفي ذلك دليل على اقرارنا بفضل صاحبهِ. وها نحن نكرّر الثناء عليهِ وعلى مضموناتهِ المتعددة. لكنَّ في تاريخ لبنان ثلمةً واسعة لا تسدّها مساعي بعض الافراد فلا بُدَّ لذلك من جمع القوى والتفتيش الطويل في القرى والاديرة وخزائن الخواصّ لأنَّ ما نعلمهُ عن لبنان بالنسبة الى ما نجهلهُ بمثابة نقطة من بحر. وقد سُررنا بما بشَّرتنا بهِ الجريدة بصدور الجزء الثاني من كتاب ذخائر لبنان فعسانا نجد فيهِ كثيرًا من المعلومات التي لم نجدها في المطبوعات السابقة. متَّعنا الله زمنًا طويلًا بهمة مؤلفهِ الاديب

الدرر السنيَّة في واجبات ذوي الدرجات الكهنوتيَّة

للاب هارل الكاهن الفرنسوي. ترجمها الى اللغة العربيَّة الخوري يوسف ديب

الجزء الثاني. طبع في المطبعة اللبنانيَّة في بعبدا (لبنان) سنة ١٩٠٧ (ص ٣٦٢)

انَّ الكاهن ملح الارض ونور العالم فاذا فسد ذلك الملح اضحى بفسادهِ الطعام تفهًا واذا انطفأ ذلك النور استولى الظلام على المستضيئين بهِ. وغاية مؤلف هذا الكتاب الاب هارل نائب احدى رعايا باريس ان يزيد ذلك الملح قوَّةً وذلك النور توقدًا. وقد سبق (المشرق ٦ : ٤٤٠) وعرَّف الجزء الاول من هذا التأليف. وهذا الجزء الثاني كشقيقهِ في حسن انتقاء المواد وايضاح المعاني وقوة البراهين العقليَّة والنقليَّة مع ضبط الترجمة وسلاستها. فنحضّ الكهنة اجمعين على قراءة هذا الكتاب بل على تأمل محتوياتهِ فانهم يجدون فيهِ كلامًا مؤثرًا يوقفهم على فرائضهم وواجباتهم المقدَّسة حتى

اذا ادركوها وساروا بموجبها رجحوا نفوسهم ونفوس المسيحيين الذين نيط بهم تدبيرهم · ولنا في رواج الجزء الاوَّل من هذا الكتاب ضامن آكيد على انتشار جزئهِ الثاني لاسيما ان نيافة الكردينال غوتي وغبطة بطريرك الطائفة المارونيَّة اثنيا على هذا المشروع الصالح وباركا مترجمهُ ل·ش

شذرات

⟵ محطَّات التلغراف الاثيري ⟶ لا يزال التلغراف الاثيريّ الخالي من الاسلاك في ترقٍ متواصل والدليل على ذلك ما أُنشي لهُ من المحطَّات المتعدّدة في بلادٍ شتى · وللولايات المتحدة السبق في ذلك فان محطَّات تلغرافها اللاسلكي تبلغ ٨٨ يليها الممالك البريطانيَّة ٤٣ ثمَّ ايطالية ١٨ ثمَّ المانية ١٣ ثمَّ هولندة ٨ ثمَّ روسية ٧ ثمَّ فرنسة ٦ وكذلك ٦ في الممالك المحروسة · وفي الارجنتين ٥ ومثلها في البرازيل والصين وجزائر انتيل · وفي اسبانية ٤ وكذلك الدنيمرك وفي اسوج ٣ وفي النمسا ٢ وكذلك رومانية ومراكش ومصر واليابان وجبل طارق · وقد أُقيمت محطَّة واحدة منهُ في بلجكة والبرتغال وطرابلس الغرب ونروج وبلاد اخرى · وتاهيك بهذا الجدول دليلًا على ما يجدون في التلغراف الاثيري من الفوائد للمخابرات · مثال ذلك محطَّة برج أيفل فانها تخابر كل سواحل البحر المتوسط · وفي عدَّة مراكب تجهيزات للتلغراف الاثيري تخابر البرَّ في مدَّة سيرها ثمَّ تطبع جرائد يومية توزعها على الركَّاب لتوقفهم على اخبار البلاد

⟵ خبز الذُرة ⟶ انَّ مزارع الذُرة متَّسعة في بلاد اميركة · وقد اخذ قوم من ارباب الاملاك يستحضرون منها خبزًا يجدون فيهِ خواصَّ خبز البرّ ولهم في تنظيفهِ وزيادة بياضهِ طرائق حسنة تجعلهُ في النظر كطحين القمح · فصار كثيرون يقبلون عليهِ ويأكلونهُ بدلًا من خبز البرّ ليس فقط في اميركة لكن ايضًا في بلجكة وشمالي فرنسة وهذا الخبز كثير التغذية طيّب الذوق فضلًا عن هوادة اسعارهِ · نقلنا ذلك لافادة اهل بلادنا لاسيَّما الفقراء منهم لكثرة الذرة عندنا · لكنَّ في الذرة ضررًا اذا بولغ في اكلها فانهُ تسبّب في الجلد بثورات وخراجات يتأذى منها أصحابها

⟵ جُعَل دود القزّ ⟶ ظهر هذه السنة في سواحل الشام صنف من الجعلان او الصراصير فتك بدود القز فتكًا ذريعًا حتَّى اتلف منها قسمًا وافرًا ·

فأُصيب بسببهِ الاهلون بخسائر باهظة وما زادهم اسفًا انَّ المواسم كانت في هذه السنة على صلاح واقبال يتفاءلون بارباحها الغزيرة . وهذا الجُعَل صغير الجسم لطيفهُ ذو اربعة أجنحة منها جناحان غلافيَّان (coléoptères) يدعونهُ بكالوسوما (calosoma) اي اللطيف الجسم من احد الاصناف الضارَّة المعروفة بالنبَّاش (inquisitor) . والصرصور المذكور اسود اللون الَّا انَّ هذا السواد ضاربٌ الى الخضرة تلوح في ظهرهِ لمن يرقبهُ بالمجهر نُكت خضراء بديعة اللون ذات سياق ونظام بهيّ . ومن خاصَّتهِ انهُ يتسلَّط على دود القز فيقطعهُ بمخاليبهِ ويلتهمهُ بوقت قليل او يتلفهُ تمامًا . واذ انتبه الاهلون الى اضرارهِ الجسيمة فعليهم ان يتعقَّبوا بزرهُ فيلاشوهُ ثمَّ يفكّروا في انجع الوسائل لدفع اذاه في العام المقبل وذلك امَّا بان تجعل الخصاص في بيوت نظيفة مقفلة وامَّا ان تُحاط بمشبَّكات من الاسلاك الدقيقة . ولعلَّ الاختبار يرشدهم الى استدراك اضرار هذه الدويبة بطريقة أُخرى كتسميمها او قتلها

⊰ آثار نصرانيَّة في بلاد تونس ⊱ بلغت النصرانية في شمالي افريقية في القرون الخمسة الاولى للميلاد مبلغًا عظيمًا لا يكاد يتخيَّلهُ العقل . وكنَّا نعرف بذلك قبلًا ممَّا ورد في التواريخ القديمة واعمال الآباء . الَّا انَّ الآثار النصرانيَّة التي اكتشفها ارباب العاديَّات في بلاد الجزائر وتونس ومراكش قد جاءَت مصداقًا على نصوص القدماء . ولا يكاد يأتينا عدد من المجلَّات الاثريَّة الَّا يفيدنا عن بروز مآثر جديدة من دفائنها . ومما وُجد آخرًا قرب تابسا آثار كنيسة ملكيَّة مع كتابة فيها اسماء خمسة من الشهداء . وقد اكتشف الملازم بنه (Benet) مدفنًا مسيحيًا في طبرقة . وبقربهِ كنيسة كبيرة ذات ثلاثة اسواق والمدافن منقورة في الصخر على طبقتين يحتوي كل مدفن عددًا من هياكل الموتى . وفي هذه القبور نقوش عديدة رمزيَّة اعتادها النصارى كالحمَل والحمامة والسمكة والسفينة والطاووس وشعار اسم السيّد المسيح باليونانية . وكذلك اكتشف قريبًا في البلد عينه آثار دير للرواهب . وتوفَّق القومندان هانزو (Hannezo) الى اكتشاف بركة عماد قريبًا من زغوان يُنزل اليها بثلاث درجات . ومما اكتُشف في سوسة صورة بديعة تمثّل الراعي الصالح حاملًا على منكبيهِ النعجة الضالَّة وكذلك وجدوا قبورًا نصرانيَّة عليها كتابات راقية الى القرن الثالث . وألفوا ايضًا قالبًا كانوا يضربون فيهِ ايقونات تقويَّة من المعدن . ومن الآثار الجليلة التي عثروا عليها في انفيدة

معادن دينية ونواويس مع اسماء شهدا واساقفة ثم وقفوا على أعمال دقيقة من الفسيفساء البديعة الصنع البهيئة النقوش · واكتشف الاب ديلاتر من الآباء البيض مقبرة عظيمة في قرطجنة وجد فيها ١١٠٠ كتابة نصرانية مدفنيَّة مع عدد وافر من الآثار والنقوش والمصابيح وغير ذلك مما اوجب لهُ شكر العلماء عموماً والأثريين خصوصاً

أسئلة وأجوبة

س سأل جناب الأديب عيسى افندي معلوف : ١ً اي موقع كفرعاقب المذكورة في بيت المتنبي :

اتاني وعيد الادعياء وانَّهم اعدُّوا لي السودانَ في كفرعاقب

وهل كفرعاقب هذه هي تحريف كفرعقاب من اعمال لبنان . ٢ً من هم الادعياء المذكورون في هذا البيت. ٣ً هل كفرعقاب المذكورة في اعمال الصليبين (المشرق ٤ : ٨٢٧) هي القرية اللبنانيَّة . ٤ً ما المقصود بعقاب لبنان في هذا البيت الآخر للمتنبي :

وعقابُ لبنانٍ وكيف بقطعها وهو الشتاء وصيفهنَّ شتاء

كفرعاقب وكفرعقاب

ج كنَّا وددنا لو ذكر المتنبي اسم قرية لبنانيَّة فاننا لا نكاد نعلم شيئاً عن قرى لبنان من عهده · وكفرعاقب التي ذكرها المتنبي قد قال فيها الواحدي والعكبري انها من قرى الشام · وزاد الامر ايضاحاً ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٢٦٠) انها قرية على بُحيرة طبريَّة من أعمال الاردن · وفي معجم ما استعجم للبكري ما هو أدقّ واضبط فقال (ص ٤٧٩) أنها « تلقاء طبريَّة » وهو الصواب فان موقعها على عبر البحيرة من جهة جولان شرقيّ شماليّ طبريَّة تدعى اليوم دكَّة (وقيل دوقة) كفرعاقب · ومن ثمَّ ظهر الفرق بينها وبين كفرعقاب اللبنانيَّة · اما كفرعقاب المذكورة في اعمال الصليبيين فانَّها من القرى المجاورة للقدس · ويوجد في السامرة قرية أخرى تدعى كفرعقب ذكر العلامة جرين (V. Guérin: *Samarie*, I, 204) · اما الادعياء الذين ذكرهم المتنبي في بيته فقد اتفق الشرَّاح على أنَّهم « قوم يدَّعون نسب عليّ » ولعلَّهم المعروفون اليوم بالمتاولة · اما عُقاب لبنان المذكورة في البيت الثاني فهي ثنيَّة تدعى بوادي عُقاب موقعها « في الجبل الذي يطلّ على غوطة دمشق في ناحية حمص » (ياقوت) سُمّيت بذلك « براية خالد بن الوليد مسمَّى العُقاب » (البكري) · وقد ذكرها الاخطل (ص١٩) ل · ش